الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعيبية
وزرة التعليم العالي و البحث العلمي
الجامعة ابن خلدون – تيارت –
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإنسانية
قسم العلوم الإنسانية
فرع: التاريخ

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث و المعاصر

الموسومةبـ:

بلاد زواوة خلال العهد العثماني

(905–1246هـ/1500–1830م)

دراسة سياسية

إعداد الطالبتين:
–تركية بوشريط
– عائشة بن قيرش

بإشراف الدكتورة:
– فوزية لزغم

اعضاء اللجنة المناقشة:

د.كمال بن صحراوي.....رئيسا
د. فوزية لزغم ..... مشرفا
أ.كمال حسنة..... مناقشا

السنة الجامعية: 1435–1436هـ/2014–2105م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال تعالى الله سبحانه و تعالى:﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ سورة النمل الآية 19

لا يسعنا وقد أنهينا هذا العمل –بعون الله وتوفيقه –إلا أن نسوق شكراً وتقديراً للمشرفة الدكتورة "لزغم فوزية" نضير تبنيها للعمل وحماستها له منذ أن كان فكرة إلى أن تجسد نسخة مطبوعة ؛حيث كانت حفظها الله موجهة و مصححة و مرشدة فجعل الله لها هذا الجهد في ميزان حسناتها.

كما نقدم الشكر الجزيل إلى اللجنة المناقشة كل باسمه الذين تفضلوا بقبول مناقشتنا.

كما نشكر أساتذة قسم التاريخ خاصة الذين درسونا خلال مرحلة الماستر .

وفي الأخير نتوجه بالشكر إلى كل من ساعدنا على تجاوز العقبات ولو بالكلمة الطيبة.

إهداء

الحمد لله الذي وفقني لتحقيق هذا العمل المتواضع الذي أهديه إلى:

إلى من سهرت اليالي لراحتي وتحملت الصعاب لسعادتي،دمتي لي يا أروع وأغلى ماخلق الله في الوجود أمي العزيزة.

إلى الذي رباني ،ودعا وتمنى حتى يراني على ما أنا عليه ،إلى رمز الرجولة و مثلي الأعلى ،إلى أبي العزيز.

إلى التي علمتي أن الحياة أخذ وعطاء ،وحق وواجب ،وتمنت أن تكون معي في أسعد الحظات ،إلى أمي التي محبتها من محبة أمي ،إلى الروح الطاهرة ذهيبة حر رحمها الله.

إلى الذي شجعني على الدراسة وكان بمثابة أب لي شبلي دحماني

إلى كل إخوتي :مفتاح،عيسى، محمد،ليلى،آمال وزوجها عبد الحميد ،وإبنهما سراج الدين .

إلى أستاذتي التي قبلت أن تشرف على هذا العمل ولم تبخل علينا بنصائحها وإرشاداتها العلمية.

إلى خطيبي ،جمال الدين بوخاري،وإلى كل أفراد عائلته .

إلى كل أخوات لم تلدهن أمي إلى حبيبات لقاني القدر بهن :خضرة،نسيمة، نسرين، إيمان، حدة، هنية،تركية،سهام ،هاجر،مريم،سمية،صليحة،ندى،نهال،هديل.

عائشة

إهداء

إلى الذين تجب طاعتهم بعد الله تعالى ،الذان قال فيهما عز وجل وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقول لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما

إلى أمي وأبي حفضهما الله الذان سهرا على تربيتي و تعليمي وأراد روئيتي في المراتب العلياأمي وأ إلى الذين تجب طاعتهم بعد الله تعالى ،الذان قال فيهما عز وجل وبالوالدين أمي وأبي برا وإحسانا.

إلى إخوتي ،عبد القادر ،مقدم محمد بهاء الدين مأمون،أنس،خالد،رقية،أمينة ،نجوى،كلتوم،مروة، تركية،إيمان،إيناس.

إلى صديقي بوداعة علي الذي لم يتوانى عن مساعدتي.

إلىالذين ملكوني عبداً حين علموني حرفاً من نور أساتذتي في جميع الأطوار وفاءًوتقديراً.

إلى صديقاتي بلا إستثناء...ما دامت الحياة صفحات دربها الإخلاص و الوفاء والحب...

تركية

قائمة الإختصارات:

الإختصارات بالغة العربية :

تح : تحقيق

تر : ترجمة

هـ:الهجرة

م:اليلادي

ج : جزء

ط: الطبعة

ط خ:طبعة خاصة

ص: الصفحة

د ت:دون تاريخ

الاختصارات بالغة الفرنسية:

P : page

R.A : Revue Africaine

Op.cit : Ovrage prècèdemment

Pp : Page.continues successies

وُجد ببلاد المغرب الإسلامي قبل ظهور العثمانيين بالبحر الأبيض المتوسط ثلاث دول هي: الدولة الحفصية وعاصمتها مدينة تونس، والدولة الزيانية وعاصمتها مدينة تلمسان بالجزائر، والدولة المرينية بالمغرب الأقصى وعاصمتها فاس، ومع في أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر للميلاد كانت هذه قد بلغت مرحلة متقدمة من الضعف، وهذا ما أغرى الدول الأوربية وفي مقدمتها إسبانيا لاحتلال عدد من مدنها وموانئها، وبالنسبة للجزائر، فقد تمكنوا في العقد الأول من القرن العاشر الهجري (16م) من احتلال عدة ثغور كالمرسى الكبير ووهران، وبجاية.

إنَّ وقوع مدينة بجاية في يد المحتل الإسباني أثر على منطقة زواوة برمتها، وعليه فستشهد هذه المنطقة تحولا جدريا في كل المجالات، وفي مقدمتها المجال السياسي، ولهذا اخترنا موضوع :" **بلاد زواوة خلال العهد العثماني** (905-1246هـ/ 1500- 1830م) **دراسة سياسية** "، أي منذ القرن الخامس عشر، إلى الاحتلال الفرنسي للجزائر، وهي مدة تقربوا على الثلاثة قرون وثلاثون سنة.

ومن أكثر الأمور تأثيرا ببلاد زواوة التحاق الجزائر بالدولة العثمانية، وقيام بعض الإمارات بها خلال الفترة الحديثة، وهي: إمارة كوكو وإمارة بني عبّاس بالقلعة المعروفة بهم، والتي ستتحول فيما بعد إلى مشيخة مجانة. فما هي أهم التطوّرات السياسية التي عرفتها بلاد زواوة خلال العهد العثماني ؟ و كيف كانت علاقة السلطة العثمانية مع تلك إمارات، ثم ما هي استراتيجية التي اعتمدتها السلطة المركزية لتسير بلاد زواوة؟

إن دراسة الوضع السياسي ببلاد زواوة خلال الفترة الحديثة من المواضيع المهمة في تاريخ الجزائر، لما يتطلّب دراسة معمّقة توضّح أوضاع بلاد زواوة خلال هذه الفترة، والتي غطّت حيّزا جغرافيا واسعا شرق الجزائر، وتبرز فترة مهمة من تاريخ الجزائر التي لم تنل حظها الكافي من الدراسات ولهذا كان يكتنفها بعض الغموض والإبهام ممّا جعلنا نوجه اهتمامنا لدراسة هذا الموضوع ونسلط الضوء على جانب من جوانبه ألا وهو الجانب السياسي. ومن الدّراسات التي سبقتنا في هذا الموضوع

نجد: كتاب "قلعة بني عباس ابان القرن السادس عشر للميلاد" ليوسف بنوجيت، وكتاب "مجانة عاصمة إمارة المقرانيين" لمزيان وشن.

وكأيّ بحث أكاديمي تعترضه صعوبات فقد واجهتنا بعضا منها مثل: صمت المصادر في فترات تاريخية عن أحداث مهمة كنهاية إمارة كوكو .

ونظرا لطبيعة موضوعنا اتبعنا المنهج: السردي الوصفي؛ حيث سردنا الوقائع التّاريخية بتسلسل زمني، كما لجأنا إلى وصف بعض المعارك والحملات كالحملة الاسبانية على بجاية ومحاولات تحريرها والعلاقات التي ربطت بلاد زواوة بالسلطة العثمانية.

وقد اعتمدنا في بحثنا على مجموعة من المصادر والمراجع، باللغتين العربية والفرنسية، ومن أهم المصادر باللغة العربية:

– " **مذكّرات خير الدّين بربروس** ": وقد كتب خير الدين هذه المذكرات تلبية لطلب السلطان العثماني سليمان القانوني، ويعد من أهم المصادر المترجمة من اللغة التركية إلى اللغة العربية وهو بمثابة سجل للأعمال التي قام بها الإخوة بربروس منذ قدومهم إلى الضفة الغربية للبحر الأبيض المتوسط إلى غاية إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية وأفادنا هذا المصدر في دراستنا لتحرير بجاية و علاقة إمارة كوكو بالسلطة العثمانية و قضية ابن القاضي مع خير الدين .

– " **وصف إفريقيا** " : لمحمد الحسن الوزّان المعروف بليون الإفريقي ، يعد مصدر مهم فهو يصف أماكن من المغرب العربي ،المغرب الاقصى ،تونس، الجزائر، طرابلس ، كما يذكر أحداث سياسية مهمة الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية كاحتلال بجاية نشأت قلعة بني عباس .

- " **إفريقيا** ": لمرمول كربخال إسباني الأصل و هو من أهم المصادر في القرن السادس عشر فهو يصف إفريقيا عامة الحيونات الموجودة بها ،و أصل زواوة ،وأصل العرب ،وأصل الاتراك ،وبداية

نهاية الموحدين وبداية بني مرين، ويذكر الاحتلال الإسباني لمدينة بجاية و الإمارات التي ظهرت في بلاد زواوة و قد أفادنا في دراسة الحملة الإسبانية على مدينة بجاية و محاولة الإخوة بربروس لتحريرها .

أما المصادر باللغة الأجنبية فهي عديدة أهمها:

- Diégo de Haedo, "Histoire des rois d'Alger "-

كان مؤلف الكتاب الراهب الإسباني ديغو دو هايدو أسيرا في مدينة الجزائر بين سنتي (1578 ـ 1581م)، يعد الكتاب من المصادر المهمة في تاريخ الجزائر خلال القرن السادس عشر ميلادي

تحدث عن الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية وعن قلعة بني عباس وإمارة كوكو.

- Charles Féraud, " Conquet de bougie par les Espagnols d'après un manuscrite" arabe .Revue. Africaine.

: لشارل فيرو. و هو مقال ضمن المجلّة الإفريقية و يعد من المصادر المهمة في تاريخ الجزائر العثماني خلال القرن السادس عشر ميلادي ، و قد أفادنا في علاقات الإمارات التي ظهرت في بلاد زواوة بالسلطة العثمانية في إيالة الجزائر .

ومن أهم المراجع المعتمدة في البحث:

– كتاب" **قلعة بني عباس ابان القرن السادس عشر للميلاد** " : ليوسف بنوجيت ويعتبر هذا الكتاب من المراجع المتخصصة المهمة خلال القرن 16م يتحدث عن، الحفصيين ، وبجاية عشية الاحتلال الإسباني و الاستنجاد بالإخوة بربروس ، و تأسيس قلعة بني عباس و وفات السلطان عبد العزيز وحملات العثمانيين على القلعة ،وحصار بني عباس للجزائر و فترة حكم سي النّاصر ووفاته آخر السلاطين في قلعة بني عباس.

ـ" **مجانة عاصمة إمارة المقرانيين** ": لمزيان وشن ، يعد من المراجع المهمة فهو يذكر تحول مقر حكم قلعة بني عباس إلى مجانة و علاقاتها بالسلطة العثمانية علاقة التحالف و السلم ،و علاقة الصراع و الحرب بالإضافة إلى تحدثه عن الجانب الاقتصادي لمشيخة مجانة ، و أفادنا في التعريف بمجانة و الحياة الاقتصادية بها .

ـ "**قيادة سباو (تاريخ منطقة القبائل في العهد العثماني و بداية الاحتلال الفرنسي)**" : لزين الدين القاسمي ، يعد من المراجع المهمة لبلاد زواوة حيث يتحدث عن القبائل التي كانت في المنطقة و الأبراج التي أقامتها السلطة العثمانية ببلاد زواوة ، كما يذكر قيام إمارة كوكو و علاقاتها مع السلطة العثمانية .

وقد قسمنا بحثنا إلى تمهيد وثلاثة فصول، تناولنا في التمهيد جغرافية بلاد زواوة من الناحية الجيولوجية، ومن الناحية التضارسية، كما تطرقنا إلى وضع بلاد زواوة في ظل حكم الحفصيين.

وورد **الفصل الأوّل** : بعنوان "**الأوضاع السياسية ببلاد زواوة منذ مطلع القرن 16م إلى منتصف القرن 17م** " يندرج تحته ثلاثة مباحث المبحث الاول بعنوان: " الأوضاع السياسية لمدينة بجاية خلال القرن16م "، تناولنا فيه الاحتلال الإسباني لمدينة بجاية و ردة فعل سكانها، ثم محاولةتحرير مدينة بجاية بداية بالإستنجاد بالإخوة بربروس ومحاولةتهم الأولى لتحرير بجاية1512م والتي فشلت،ثم محاولتهم الثانية لتحريرها 1514-1515م لكنها باءت بلفشل،ثم التحرير النهائي لبجاية على يد صالح رايس بمساعدة أمير إمارة كوكو و سلطان قلعة بني عباس 1555م

أما المبحث الثاني بعنوان " إمارة كوكو " تناولنا فيه قيام إمارة كوكو و علاقتها بالسلطة العثمانية في إيالة الجزائر، و المبحث الثالث بعنوان " قلعة بني عباس " إحتوى قيام قلعة بني عباس ،وعلاقاتها مع السلطة العثمانية ومقتل آخر سلاطينها.

الفصل الثاني: " مشيخة مجانة منذ قيامها إلى الاحتلال الفرنسي " المبحث الاول بعنوان " تأسيس مشيخة مجانة " تناولنا فيه قيام مشيخة مجانة ، و علاقة شيخ مجانة بالسلطة العثمانية، أما المبحث الثاني " العوامل الاقتصادية كعامل أساسي في قوة مشيخة مجانة " تناولنا فيه التجارة ، الزراعة والصناعة و المبحث الثالث " الخلاف بين أولاد مقران وضعف إمارتهم " تضمن الصراع بين أولاد مقران، وانقسام أسرتهم إلى عدة فروع وكل فرع كان يريد حكم المشيخة.

أما الفصل الثالث: بعنوان" بلاد زواوة منتصف القرن 18م وبداية القرن19م " يندرج تحته مبحثين المبحث الاول "إستراتجية العثمانيين في تسيير بلاد زواوة "تناولنا فيه الابراج التى وضعتها السلطة العثمانية لحماية المنطقة و قبائل المخزن التي تجمع الضرائب من قبائل بلاد زواوة بالاضافة إلى لجوء العثمانيين إلى المرابطين نظرا لقوة تأثيرهم على سكان المنطقة و إخماد الثورات و المبحث الثاني معنون ب:" الاحتلال الفرنسي لبلاد زواوة " و تطرقنا فيه موقف أولاد مقران من الاحتلال الفرنسي للجزائر1830 م ،وموقف قيادة سباو من الاحتلال الفرنسي للجزائر1830م ، ثم الاحتلال الفرنسي لمدينة بجاية. وختمنا بحثنا بخاتمة تضمّنت أهم النّتائج المتوصّل إليها.

تتربع بلاد زواوة على مساحة واسعة من شرق إيالة الجزائر ،ضمت هذه المساحة تضاريس متنوعة ،غطت هذه المساحة مدن عديدة كانت لها أهمية سياسية كمدينة بجاية، التي مثلت أدوار من تاريخ الجزائر في فترات زمنية ،فكانت مدينة بجاية تابعة للحفصيين بتونس قبل تعرضها لإحتلال الإسباني سنة 913هـ/1510م.

أولا – جغرافية بلاد زواوة:

تقع بلاد زواوة في الوسط الشمالي الشرقي من إيالة الجزائر، تمتد من وادي أغريون وجبال البابور شرقا إلى وادي يسر غربا، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى سلسلة جبال البيبان وهضاب سطيف، وسهول مجانة جنوبا[1]،حيث تمتد من الشرق إلى الغرب على مسافة قدرها 150 كلم وعمقها من الشمال إلى الجنوب يتراوح مابين 70 إلى 100 كلم.[2]

وقد قسمت بلاد زواوة من الناحية الجيولوجية إلى قسمين:

يمتد القسم الاول من سلسلة جبال جرجرة شمالا، إلى جبال البيبان جنوبا، وهو في اتساعه هذا يظم حوض وادي الصومام[3]ويمر به الطريق الرئيسي الرابط بين الجزائر وقسنطينة[4] . ويمكن القول أن القسم الأول يشكل الزواوة الشرقية.

[1]– يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1995،ج2 ،ص:20.

[2]–إ دارة المكاتب العربية و الاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد 1844-1871 عنابة: جامعة باجي مختار،2006 ،ص: 474؛ ينظر: الملحق رقم 1 وهو خريطة.

[3]– آيت سوكي ،محند آكلي، تأثير القوى الدينية في منطقة القبائل وأدوارها، ومواطنها في مختلف الجوانب الحياتية من القرن 10 . 13 هـ/1916. رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2007 – 2008، ص: 15.

[4]– هاينريش فون ماليستان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، تر: أبو العيد دودو، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979، ج2، ص: 125.

أما القسم الثاني فيمثل الشريط الساحلي الممتد بين البحر الأبيض المتوسط شمالا وسلسلة جبال جرجرة جنوبا[1] ويظم هو الآخر واد سباو وبقسميه العلوي والسفلي والذي يصب قرب دلس،[2] وهو بهذا الشكل يشكل ما يعرف بالزواوة الغربي.

وتضم بلادزواوة من الناحية التضارسية العناصر التالية:

1- جبال جرجرة:

وهي بمثابة جدار جبلي يمتد من الشرق إلى الغرب، من جبال اكفادو شرقا إلى جبال بني خلفون غربا ، مشكلا قوسا منحنيا قليلا إلى الجنوب، كما أنه يمتد إلى رأس كاربون بخليج بجاية، حيث تمتد جبال جرجرة على طول 150 كلم ،يبلغ أعلى إرتفاع في جبالا جرجرة، بالقسم الأوسط في قمة لالا خديجة 2308م لتليها قمة تامدوين 2305م ،وقمة جيزر ب 2164م.

وبين هذه الكتلة الجبلية والجبال الساحلية أكفادو يقع حوض وادي سباو الذي يفصل بينهما ،ذلك أن الجبال المحادية للبحر أقل ارتفاعا من جبال جرجرة ،فأعلى قمة بها هي تامقوت ويبلغ ارتفاعها 1228 م، حيث تمتد من رأس جنات غربا إلى بجاية شرقا.

2- حوض سباو:

يقع بين السلسلة الساحلية وجبال جرجرة، يصل عرضه إلى حوالي 3 كلم، يمثل حوضا مليئا بالرواسب النهرية التي تصب في وادي سباو، بالإضافة إلى هذا هناك أحواض أخرى مثل منخفض ذراع الميزان و واطنية، وإلى الغرب منها تالا وسهول مثل سهل يسر وسهل ذراع بن خدة[3].

[1]- آيت سوكي، المرجع السابق، ص: 17.

[2]- هاينريش فون ماليستان، المرجع السابق، ص: 125.

[3]- المرجع نفسه، ص: 18.

3 –جبال البابور:

هي عبارة عن مجموعة من الكتل الجبلية، الممتدة من ملتقى وادي بوسلام والصومام غربا إلى الجنوب الشرقي من بجاية شرقا، يتراوح ارتفاعها ما بين 1000م و1300م، وأقصى ارتفاع لها موجود في الجهة الشرقية المطلة على ناحية سطيف، جيجل أي في جبال البابور بارتفاع 2004م، حيث هذه الكتل المجموعة من الأودية من الجهة الشرقية مثل اغريون، هو الحد الطبيعي للزواوة الشرقية، وواد الزيتون ووادي جمعة[1].

ثانيا– الوضع السياسي لبلاد زواوة في ظل حكم الحفصيين:

للحفصيين[2]كان الحفصيون ولاة إفريقية في عهد الدولة الموحدية بالمغرب الأقصى ،ولما تفككت هذه الأخيرة عملو على إستقلالهم بالمغرب الأدنى حوالي سنة 1228 ـ 1229م[3]، وففي تلك السنة1236م أمر السلطان أبو زكريا الحفصي[4]بالتوسع غربا فاستولى على مدينة قسنطينة في 1228م ،ثم ضمّ مدينة بجاية والجزائر وبني مزغنة في نفس السنة[5]، ثم بويع البيعة الثانية السلطان أبو زكريا سنة 1236م وبعد سنتين من ذلك تحرك إلى مدينة بجاية وولى عليها ابنه يحي ابن أبو زكريا الحفصي.

---

[1]– آيت سوكي، المرجع نفسه، ص: 18 .

[2]– الحفصيين: ينحدرون من الشيخ أبي حفص عمر بن يحي الهنتاتي، زعيم قبيلة هنتاتة البربرية بآعالي جبال الأطلس بالمغرب الأقصى، وكان أمير مخلصا للمهدي ابن تمرت. ينظر: الفريد بيل، الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي إلى اليوم، بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط2) 1981، ص: 297.

[3]– أبو عبد الله محمد الزركشي، تاريخ الدولتين، الموحدية والحفصية، تح محمد ماضور، تونس: الدار التونسية للنشر،(ط2) 1996، ص: 17 – 18.

[4]– أبو زكرياء: ابن المولى أبي محمد عبد الواحد بن أبي بكر بن المولى أبي حفص عمر الهنتاتي: ولد بمراكش 599هـ وبويع بالقيروان في رجب سنة 625هـ، ينظر: عبد الله بن القاسم ابن أبي الدينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تونس: مطبعة الدولة التونسية، (ط 1)، 1286، ص: 22.

[5]– أبو العباس أحمد ابن القنفد، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح محمد الشاذلي الناغير وعبد المجيد التركي، تونس: الدار التونسية للنشر، 1968، ص 103 -104.

وبالرغم من البعد الجغرافي لإقليم بجاية عن السلطة المركزية بتونس استطاعت الدولة الحفصية أن تكسب ولاء حكامها في أغلب مراحلها التاريخية، إذ اعتبر بعض المؤرخين مدينة بجاية بمثابة الثغر الغربي للسلطنة الحفصية، لذا كان يختار لتولي شؤونها الشخصيات البارزة من الأمراء أبناء السلاطين أو كبار القادة سواء من مشيخة الموحدين أو من وجهاء بعض القبائل البربرية.

ظلت مدينة بجاية[1] تحت الحكم الحفصي إلا أنه و في حوالي 713هـ /1312م شهدة هذه المدينة الزحف الزياني أثناء عهد السلطان أبي حمو موسى بن عثمان (697هـ-718هـ)(1296-1317م) ، حيث قام الزيانيون بمحاصرة مدينة بجاية وحاولو الدخول إليها لكنهم فشلو في ذلك،فوضعو مخططا آخر تمثل في مراقبة المدينة و فرض الحصار عليها كما قامو ببناء حصن منيع قربها[2] و أثناء هذا الحصار بجاية كانت تحت إدارة ابن الغمر مساعد السلطان أبو يحي أبو بكر الثاني المتوكلعلى الله واستطاع صد هجومات الزيانيين، وقام ابي تاشفين عبد الرحمان السلطان الزياني بحملة في 718-737هـ/ 1317-1336م على بجاية لكنها باءت بلفشل[3].

عمد السلطان الحفصي أبو بكر على تقوية حامية بجاية خوفا من سقوطها في أيدي الزيانيين الذين توالت هجماتهم في عهد أبي تاشفين بين721-724هـ/1323-1320م،وآخيرا 729هـ/1328م ،فبذلك عرفت بجاية صراعات عديدة مع الزيانيين في عهد السلطان أبي بكر الحفصي وابنه محمد أمير بجاية، وفي نهاية 747هـ/1346م إستطاع الأمير أبو العباس أحمد اعتلاء فكانت والعرش بتونس ،أمبو عبد الله بن زكريا و الذي لم يستطع الصمود في وجه السلطان المريني أبو

[1] – بجاية مدينة ساحلية يحدها شمالا البر الأبيض المتوسط وشرقا جيجل وغربا متيجة وشرقا بايلك الشرق وغربا دار السلطان وجنوبا بايلك تيطري . **ينظر** : مارمول، كربخال، إفريقيا، الرباط: مطابع المعرفة، 1984،ج2، ص: 278.

[2] – محمد الشريف سيدي موسى، مدينة بجاية الناصرية دراسة في الحياة الاجتماعية والفكرية، تق محمد الأمين بالغيث، الجزائر: دار كرم الله، 2011، ص:38.

[3] – الزركشي، المصدر السابق،ص:78.

الحسن 748هـ/1347م دخل بجايةالسلطان ابو الحسن بجاية ثم واصل طريقه إلى تونس و دخلها 748هـ / 1347م رفقت الحاجب ابن تفراجين[1]

ظلت بجاية بين المد و الجزر فتارة تحت نفوذ المرنيين و تارة اخرى تابعة لقوى محلية كحكم الأمير محمدبن أبي زكريا، بين عامي760-761هـ / 1359-1360م خرج سلطان تونس ابو إسحاق من تونس بجيش صوب بجاية التي كانت تحت سيطرت المرنيين وبعد بلوغ خبر قدوم الجيش الحفصي قام سكان بجاية بثورة على المرنيين و فتحو الأبواب للسلطان الحفصي الذي دخل المدينة و أرجعها إلى الحكم الحفصي[2]وعاشت السلطنة الحفصية في عهد السلطان أبي العباس حوالي أربعيين سنة عرفت خلالها بعض الإستقرار و القضاء على العديد من الفتن إلى أن توفي عام796هـ / 1394م[3].

وبعد وفاة السلطان أبي العباس احمد بويع ابنه السلطان ابو فارس سنة 1394م الذي يعد من ألمع السلاطين حيث حكم حوالي 41 سنة وفي عام 1431 أقدم السلطان ابو فارس على تولية أحد مماليكه المقربن على إمارة بجاية أبي نعيم رضوان، ولكن أهالي بجاية رفضوا ولايته عليهم مما دفع بالسلطان بتعيين ابنه محمد المنتصر بن أبي فارس أميرا عليهم[4].

وفي عهد أبي عمر عثمان عمد أمير بجاية السلطان المعروف بابي علي بن أبي فارس إلى الاستقلال ببجاية، ورفض مبايعة السلطان أبي عمر وعثمان، فيوجه له هذا الأخير جيشا عام 1439 و استرجع بجاية الحاضرة وعقد عليها عبد المؤمن بن أبي عباس أحمد[5].

[1] – – محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق،ص:40

[2] – ابن القنفذ، الصدر السابق، ص :175 .

[3] –الزركشي ،المصدر السابق،ص:155.

[4] –محمد الشريف سيدي موسى، الرجع السابق، ص :45.

[5] – محمد الشريف سيدي موسى،المرجع نفسه ،ص،ص :45، 46.

وفي هذه الفترة انتشرت الفوضى وكثرت المؤامرات والدسائس على الحكم ففي 1448 أقدم أبي الحسن علي على اقتحام بجاية وفصلها عن تونس، واستمرت الاضطرابات وعرفت بجاية العديد من الولاة إلى أن جعل السلطان أبو العباس عمر وعثمان على مدينة بجاية ابنه الأمير أبي فارس عبد العزيز[1].

وفي عهد الأمير جاءت الحملة الحفصية على تلمسان وأدى جيش بجاية مرة أخرى دورا حاسما في مساعدة القوات القادمة من تونس ونجحت هذه الحملة في دخول تلمسان، لكن الدولة الحفصية كانت تعيش أيامها الأخيرة المزدهرة وسرعان ما بدأت ملامح الضعف تدب في السلطة الحفصية حيث شرع النصارى على اقتطاع العديد من أقاليمها وثغورها.[2]

ولكن رغم ما كان يقدمه سكان بجاية للحفصيين من مساعدات إلا أن بجاية لم تعرف إستقرارا متواصلا، وذلك للتقلبات السياسية المتجددة بفعل الحروب المتوالية عليها جراء الحرب بين الحفصيين والزيانيين وبين أمراء السلطنة على الحكم، إلا أن دخل طرف جديد ساحة المعركة، و هو سقوط بجاية في أيدي الإسبان سنة 1510م ،وينتهي بذلك العهد الحفصي ،لتدخل بجاية والمدن المحيطة بها عهد جديد تمثل في ظل العثمانيين[3].

[1]– أبو فارس عبد العزيز: هو ابن العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد بن يحي بن عبد الواحد بن بكر بن الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي توفي عام 837هـ. ينظر: ابن أبي الدينار، المصدر السابق، ص: 151.

[2] –روبار برانشفيك ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15م ،تر:حمادي الساحلي .بيروت:دار الغرب الإسلامي ،ط1888،1،ج2،ص:291.

[3] -Charles féraud , conquet de bougie paue les Espagnols d'après un manuscrit arabe Revue Africaine, N° : 27 – 1968,p-p:248-250.

نظرا لأهمية موقع مدينة بجاية، كانت هدف الكاردينال خمينيس (khimènes)[1] الذي أمضى وقتا للاستعداد لنقل ثقل الهجوم من الغرب الجزائري (المرسى الكبير ووهران) باتجاه الشرق بجاية، وحاول الإسبان السيطرة على الثغور المهمة للتحكم في البحر الأبيض المتوسط، إلا أن ظهور الإخوة بربروس في الضفة الغربية للبحر الابيض المتوسط واستنجاد سكان بجاية بهم غير المخططات الإسبانية. وبعد أن تمكن الإسبان من احتلال مدينة بجاية ظهرت إمرتين كان لهما دورا سياسيا كبير في بلاد زواوة.

المبحث الأول: الاحتلال الإسباني لمدينة بجاية خلال.

ما إن اعتلى الأخوان عبد العزيز وأبو بكر أبنا السلطان أبوفارس الحفصي في المقاطعتين بجاية و قسنطينة، (عبد العزيز أمير على بجاية وأبو بكر أمير على قسنطينة) ،حتى دخلا في حرب دائمة بسبب طموح السلطان أبوبكر في أخذ مقاطعة بجاية وإلحاقها بحدوده، فالسلاطان أبوبكر لم يكن راضيا على تعيينه على رأس مقاطعة قسنطينة التي ليس لها مؤهلات بجاية .

فرأى أنه سيعوض ذلك بشن حرب طويلة ضد أخيه عبد العزيز أمير بجاية،فبين عامي (906 -907هـ/ 1503-1504م)قام الأمير أبو بكر بمحاصرة بجاية لكنه لم يبلغ الأطراف المحصنة للمدينة، و في عام (912هـ/1507م) تقدم أبو بكر إلى أسوار مدينة بجاية و حاصرها أربعيين يوما،وفي سنة(913هـ/1508م) شن أبوبكر حملة جديدة على بجاية والتي تصدى لها الأمير عبد العزيز ومني أبو بكر بلهزيمة، وعندها عزم السلطان عبد العزيز على أن يسبقه زحفا نحو قسنطينة.[2]

وقد عهد السلطان عبد العزيز إلى إبنه أبي فارس ترؤس حملة توجهت لنجدة سكان وهران التي تعرضت لإحتلال الإسباني سنة (914هـ/1509م)، ،وقاد أحد وزرائه الأسطولالذي أبجز نحو

[1]-ولد الكاردينال خيمينس دى سيسنيروس في قشتالة، عين أمير مملكة قشتالة سنة 1492، ثم كاهنا لطليطلية عام 1495، ثم حاكما لقشتالة، وظل لوفاته اشتهر بالقسوة في إبادة المسلمين ينظر: كليل صالح، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لاحتلال المغرب الأوسط ،رسالة ماجيستر في تاريخ الحديث و المعاصر ،جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة:2006-2007، ص:15.

[2] -يوسف بنوجيت، قلعة بني عباس إبان القرن السادس عشر للميلاد، تر ساهية سعيد عمار، الجزائر: دار دحلب، 2009، ص،ص:34،35.

هذه المدية للغرض نفسه،و لم يبق في بجاية سوى ابنين في بجاية للسلطان عبد العزيز :الأميران عبد الله والعباس عبد العزيز .

لقد نجح السلطان عبد العزيز دخول قسنطينة التي فتحت له الأبواب لتحضى بسياسة جديدة ،وأثناء إنتصاره قام الإسبان باعتراض سبيل الأسطول الذي أرسل لنجدة سكان وهران فتكبد هزيمة كبرى ،وهذه الخصارة كانت حاسمة في إحتلال مدينة بجاية من طرف الإسبان ،الذين قد وضعوا خريطتهم للغزوة القادمة :مدينة بجاية . [1]

انطلقت سفن الإسبانية (914 هـ/ 1509م) حتى وصلت إلى جزر البليار ووصلتها قوة دعم إضافية، ثم اقلع الأسطول الاسباني من جزر البليار بعشرين سفينة كبيرة تحمل عشرة آلاف مقاتل مدعمة بالمدفعية الضخمة و آلات الحصار[2]،ووصلت الحملة إلى مدينة بجاية يوم 05 جانفي 1510 .

حيث يذكر مرمول: Marmol: " في عام ألف وخمسمائة وعشرة أبحر الكونت بيدرودي نافارو في اتجاه بجاية ومعه أربعة عشر سفينة كبيرة محملة بالجنود ولم يشعر به أحد[3]" ،إلا أن حسن الوزان يذكر بأن شعور المواطنين بالهلع بعد رسو أربعة عشر سفينة للإسبان، جعلهم يفرون مع الملك، الذي كان أول من التحق بأعلى الجبل ليتخذ ملجأ له ولذويه[4] إلا ان يوسف بنو جيت يذكر أنه بمجرد أن إستحوذالإسبان على المنطقة بعثو إلى سكان بجاية وإلى الوزراء يدعونهم إلى الإستسلام دون مقاومة، و أن يفتحو أبوابهم، لكنهم رفضوا و قامو بالترتيبات للدفاع عن أنفسهم.[5]

[1] –يوسف بنوجيت، المرجع السابق، ص،ص،39،38.

[2] –. بسام العسلي، خير الدين بربروس، بيروت: دار النفائس،(ط2)، 1986، ص: 67- 68.

[3] – مرمول كربخال، إفريقيا ،الرباط :مطابع المعرفة ، 1984 ،ج2، ص: 377.

[4] – الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، تر محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي ، (ط2)،1983،ج1،ص:51.

[5] – يوسف بنوجيت، المرجع السابق،ص:44.

كان الاسبان على دراية بوضعية مملكة بجاية فعندما وصل الأسطول الاسباني إلى واجهة بجاية قام بقصف المدينة لضمان عملية إنزال الجيوش التي تتمركز في الوادي وتحديدا في الموضع الواقع أسفل ضريح سيدي عيسى الشبوكي[1].

وحين كان الاسبان يذبحون بقايا الرجال وينهبون الأموال، تمكن الملك عبد الله ملك بجاية المخلوع مسلوب البصر من مغادرة سجنه إلى مكان فيه جماعة من أنصاره، وفي يوم عيد الفصح من تلك السنة الرهيبة وقف جماعة على أسوار المدينة المنكوبة ومعهم الملك المخلوع يحمل راية بيضاء[2]، ومعه ثمانية أو عشرة من الفرسان ومثل ذلك من الراجلين، ولقي من الكونت بيدرو دي نافارو قبولا حسنا، لما عرف قصته (بأن أخاه الملك عبد الرحمان خيره بين الموت أو سلبه لبصره فإختار الثانية بإقترابه من الصهريج المحمر حتى فقد بصره)، لذلك وضعه الكونت بيدرو دي نافارو بين أيدي الجراجين المختصين بالأسطول[3]، فارتد الملك بصيرا وأعلن الولاء للإسبان، وعزم بيدرو دي نافارو على مهاجمة الملك عبد الرحمان أمير بجاية ومن فر معه من السكان في المعاقل التي التجئوا إليهابعدما عرض عليه الملك المخلوع عبد الله أن يكون دليلا لجيشه.[4]

لذلك بادر الكونت بيدرو دي نافارو بإرسال اثنين من رجاله، ومعهما اثنان من سكان المنطقة للتعرف على المكان الذي يوجد فيه الفارون من السكان، وعلى إثر ذلك خرج الكونت ليلا بصحبة 1500 من الجنود و الأمير المخلوع عبد الله، وفي بداية الصباح وصل إلى تلك الأماكن دون أن يعترضه أحد. وقد رأى العساكر اللذين هم في مقدمة الجيش أشجارا، فاعتقدوا بأنها خيام العرب فأعطوا إشارة الإنذار للمعسكر، لكن الكونت بيدرو دي نافارو تبين له خطأهم فجرى بكل قوة فرسه قاصدا مكان الخيام، وكان المسلمون قد رأوا الإنذار وبدأو بالفرار، فطاردهم الاسبان داخل

[1]- يوسف بنوجيت، المرجع نفسه ص:43.

[2]- أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة عام بين الجزائر و إسبانيا 1492- 1792.الجزائر: الشركة الوطنية للنشر وتوزيع، 1976 ،ص:116.

[3]- مرمول، المصدر السابق، ص: 738.

[4] -أحمد توفيق المدني،المرجع السابق،ص:117.

الجبال وتمكنوا من القبض على عدد منهم ، وبعد أن جمع الاسبان المواشي وغيرها من الغنائم أشعلوا النار في تلك المحلة، ثم عادوا إلى بجاية[1].

أقام الاسبان حباكا من الحطب تشبه الحائط انطلاقا من مدينة سيدي عيسى متتبعين مرتفعات الأرض وهكذا استقروا في جبل قورايا[2] وانهمكوا في اقتتال كل من حاول اجتياز بوابات المدينة وقد دام هذا الوضع عشر أيام ،لذلك أراد المسلمين فك الحصار فانتقل أشد المحاربين إلى الهجوم وانقسموا إلى فرقين: فريق يذهب برا، و آخر يذهب بحرا وذلك للاستعانة بالمراكب القديمة الراسبة في الميناء، وأخفقت هذه المحاولة في فتح ثغرة في صفوف العدو، وهلك عدد كبير من المسلمين، ولعل الذين كانو برا هم الأكثر تضررا، فما إذ تقدموا إلى مخرج المدينة حتى أصبحوا فريسة سهلة لنيران العدو[3].

وبعد الذعر الذي عم المدينة ،لاح أمل في الأفق إذا قام السلطان عبد العزيز الحفصي بإرسال الدعم من قسنطينة مع الأمير أبو فارس ابن السلطان عبد العزيز إلى بجاية، حيث جلب معه محاربين من كل أنحاء البلاد، منهم العرب وقبيلة سدوكيش وكتامة وسكان القبائل المجاورة لبلاد زواوة، وقد التحق بهم في الوقت نفسه بنو عبد الواد وتوجين، اندفع الأمير أبو فارس الحفصي وسط المحاربين لخوض الحرب مصحوبين بأربعة من علماء[4] المدينة الأجلاء منهم: أبو أحمد إسماعيل الحاجب السابق للأمير إبراهيم الذي توفي في عهد الأمير العباس، وأبو عيسى بن إبراهيم، الهنتاني المكلف بشؤون السلطان وانظموا جميعا إلى صفوف المسلمين الذي كان عددهم هائلا.

وقد عسكر جيش الأمير أبوفارس في البساتين وكان المرابطون وزهاد المدينة يحرضونهم على الحرب ليؤججوا فيهم الهمم، أما الأمر الذي يحسب لم له حساب هجوم الكفار عليهم، لذلك تراجعت قوات بجاية أمام نيران العدو، بالإضافة إلى أن جيش أبو فارس لم يكن منظم مما أدى إلى

[1] – مرمول كربخال، المصدر السابق، ص: 378.

[2] -Charles .Feraud. op. cit. P : 252.

[3] – يوسف بنوجيت، المرجع السابق، ص،ص:46،47.

[4] – يوسف بنوجيت، المرجع نفسه، ص ، ص: 44، 45.

هلاك العديد من الجنود في الموضع الواقع بين بوابتي المدينة اللتان تشرفان على ميدان القتال.ولقد استشهد أبناء الأمير أبو فارس وعبد الله في مارس 1510.

إن التنظيم الجيد لجيوش الإسبان كان له دورا كبيرا في انتصارهم[1]، وانهزام الجيوش تحت قيادة الاميرين عبد الرحمان و العباس، فاضطر إلى الانسحاب خارج المدينة، حيث أقاموا في الشواريخ[2] ،ثم نحو الموقع الذي سيصبح فيما بعد قلعة بني عباس في 13 أفريل 1510[3].

ويعتبر 25 ماي 1510 اليوم الذي استولى فيه الاسبان نهائيا على بجاية وكانت النكبة عظيمة بحيث لم ينجو أي وزير من مملكة بجاية[4] وقد بدأالإسبان في إنشاء مدينة صغيرة محصنة، تكون بجاية الصغيرة الاسبانية وكتب على إحدى القلاع نقوش فرادیناد الخامس ملك على اسبانيا افتك هذه المدينة بقوة السلاح من أبنائها اللئام 915هـ /1510 [5]

وبعدها قرر بيدرو الاستفادة من الوضع فبادر إلى احتضان الملك عبد الله، وأراد أن يقسم المجاهدين ويضرب الواحد بالآخر لذلك أرسل إلى ملك اسبانيا ليخبره مدى الفائدة المادية التي تقود عليها هذه العملية[6]، في حين واصل أبا بكر الحرب ضد الاسبان فأسند إلى موفق بن إبراهيم قيادة كتامة واسند إلى الوزير إبراهيم قيادة الجيوش التي طوعها لحراسة النواحي، أما جماعة بني عبد الواد وتوجين المتمركزة في واد بجاية ضمهم إلى الجيوش المنظمة ليعهد لها محاربة الاسبان[7].

وتحرك السلطان عبد العزيز بجيشه نحو بجاية عازما على القضاء على الأمير أبي بكر[8]، وضم وضم قواته إلى قوات عبد الرحمان لتنظيم حملة مضادة على الاسبان وهو الأمر الذي كان سيحدث

[1]- يوسف بنوجيت، المرجع السابق، ص ، ص: 45،46.
[2]- محمد الحسن الوزان،المصدر السابق، ص: 51.
[3]- أحمد توفيق المدني،المرجع السابق، ص: 117.
[4]- يوسف بنوجيت، المرجع السابق، ص: 74.
[5]- كليل صالح، المرجع السابق، ص، ص: 50،51.
[6]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص: 117.
[7]- يوسف بنوجيت، المرجع السابق، ص: 71.
[8] -Charles .Feraud. op. cit. P : 25.

لو لم تشهد هذه الحملة وفاة آخر سلطان لبجاية وهو عبد العزيز الحفصي في هذه المعركة التي خاضها ضد أخيه أبي بكر والتي كان مجالها تاكركات، المنطقة الواقعة بين مدينتي بجاية وسطيف، وكان ذلك في جوان 1510[1].

بعد وفاة السلطان عبد العزيز أثيرت قضية الخلافة بين أتباعه وهو أمر تقليدي متوارث عن الموحدين وانتهت إلى مبايعة العباس الذي ارتبط اسمه بالقلعة وقد كان حاقدا على أبو بكر الذي قتل والده.عارض أبو بكر اعتلاء العباس الحكم وقام بالقبض على مشايخ العرب الذين بايعوا العباس، فسجن بعضهم وقتل الآخرين.

أخضع أبو بكر معارضيه لبعض الوقت وعمل على تمتين قواعد حكمه، وعهد ولاية الزاب إلى أحمد بن محمد بن يوسف الذي عينه وأوجد له الوسائل لملئ خزينة الدولة، قام بلقضاءعلى نفوذ دواودة، ووضع حدا لمؤامرتهم ،وبعد ذلك توجه أبو بكر نحو بجاية المحتلة و أقام مركز القيادة في تاكركات ليعد خطة جديدة لمواجهة الاسبان ولم يأخذ بالاعتبار معاداته لسلطان العباس ،وما يكنه له من حقد ،بسبب قبوله إبرام معاهدة مع الاسبان لمواصلة صراعه ضد عمه السلطان أبو بكر[2].

لما علم السلطان أبو بكر عم السلطان العباس بن السلطان عبد العزيز بمساعي الاسباني اتجاه ابن أخيه، أرسل أنصاره لمطاردة العباس الذي كلف وزيره لكسب مناصرة بني عبد الواد وتوجين،الساكنين على ضفاف وادي الصومام، فقبض عليه أبو بكر وقتله وزحف نحو قلعة وانوغا لخلع العباس، ولكنه فشل أمام مناعة هذا الحصن الطبيعي[3].

واصل أبو بكر مهاجمة الإسبان في بجاية بعد الفشل في القبض على العباس ،و أصدر تعليمات إلى جيوشه ليلتحقوا بالمواقع الدفاعية خلف وادي الصومام ،خاصة بعد علمه أن الاسبان

[1] – يوسف بنوجيت، المرجع السابق، ص،ص:77،78.

[2] – يوسف بنوجيت، المرجع نفسه، ص:79.

[3] -Charles. Feraud. op. cit. P : 339.

يرغبون في اقتحامه في جويلية 1510م[1]، بعدما تلقوا مددا في عدد حاميتهم، فتوزعوا على ضواحي المدينة ليتمركزوا في الحدائق المحيطة بها، كما دعى السلطان أبو بكر السكان إلى الحرب ضد الإسبان، وأشرف بنفسه على إعطاء إشارة الانطلاق، وتمكن من حصار بجاية لواحد وخمسون يوما، لكن دون جدوى فاضطر إلى الانسحاب، وأقام حصون كحصن ياقوتة وحصن بكر .

بعد فترة قام أبو بكر بالانسحاب رغم الجهود التي بذلها لاعتلاء العرش فقد دفعته أساب كثيرة للفشل في حروبه وعدم تمكنه من تعزيز مكانته بين القبائل التي لم ترى فيه سوى مغتصب للعرش، ويظهر ذلك من خلال ولاء القبائل للعباس، وقيام أبو بكر باحتجاز رهائن من كل قبيلة ليضمن إخلاصهم ،ورغم عداء القبائل له إلا أن هذا الزعيم العنيد لم يثن من عزيمته صد العدوان الاسباني بعد الخسائر الفادحة التي تكبدها في الهجوم، فانسحب أبو بكر إلى قسنطينة وفكر بالاستنجاد بالإخوة بربروس[2].

بالإضافة إلى أن أهل مدينة بجاية وعلمائها طلبوا النجدة من الإخوة بربروس بعد معاناتهم من ثقل بنود المعاهدة التي كانت بين الأمير العباس والحامية الاسبانية بمدينة بجاية[3] التي سنذكر بنودها لاحقا في قلعة بني عباس.

بعد فشل الأمرين أبو بكر وعبد العزيز في التصدي للإحتلال الإسباني لمدينة بجاية ،قام سكان مدينة بجاية و علمائها إلى جانب أمير قسنطينة أبو بكر با لإستنجاد بالإخوة بربروس الذين إتخذوا حلق الواد بتونس قاعدة لهم ،فلبوا النداء وحاولوا تحرير مدينة بجاية .

[1]- يوسف بنوجيت، المرجع السابق، ص: 20.

[2]- الإخوة بربروس: هم من جزيرة ميديلي إحدى جزر اليونان، إستوطن أبوهم جزيرة ميدلي و بعد فتح القسطنطينية أصبح من فرسان السبايحية ،تزوج من إحدى بنات أهالي هذه الجزيرة التي أنجبت أربعت أولاد هم إسحاق،إلياس،خير الدين ،عروج ،كانوا تجارا في ميدلي وأصبح عروج قائد لأسطول مصر قبل قدومه للجزائر ينظر: مجهول، سيرة المجاهد خير الدين، ، تر، عبد الله الحمادي، الجزائر: دار القصبة، 2004، ص – ص: 5 -12 ؛ مجهول،غزوات عروج وخير الدين، تر، نور الدين عبد القادر، الجزائر: 1934، ص: 40.

[3]- يوسف بنوجيت، المرجع السابق، ص: 99.

المبحث الثاني :تحرير مدينة بجاية:

بعد أن فوجئت السواحل الجزائرية بالاحتلال الاسباني ومن بينها مدينة بجاية وفشل سكانها في صد الحملة الاسبانية، قام أعيان وعلماء بجاية إلى جانب أبو بكر الحفصي بإرسال رسالة إلى الإخوة بربروس طالبين النجدة[1] ،ويذكر عبد الحميد أشنو أنه عندما فرّ عبد الرحمان أمير بجاية إلى الجبل نادى عروج ليعينه على إقصاء العدو من مدينة بجاية[2].

1- المحاولة الأولى لتحرير مدينة بجاية:

كان أول اتصال بعروج في 914هـ /1512م حين طلب منهم آهالي مدينة بجاية مساعدتهم على طرد الاسبان[3]، وفي 01 أوت1512، قرر عروج الاستجابة لهذا النداء، وجمع مع أخوه خير الدين خمس سفن وتوجه نحو بجاية وبدأ في محاصرة القلعة[4]، وذكر خير الدين بربروس في مذكرته " قدمنا إلى ميناء بجاية الجزائرية في ألفين وثلاث وثلاثين بحارا وعشر سفن ومائة وخمسين مدفع وآلاف الأسرى الذين يقومون بالجذف، وكانت بجاية في أيدي الكفار عندما علم أعراب البوادي بانتصاراتنا، لحق بنا عشرون ألف رجل لمساعدتنا"[5].

وجاء عروج بربروس على رأس إثناعشر قطعة بحرية محملة بالمدفعيات والذخيرة ،وإصتدم مع الاسبان في بجاية وتمكن من إغراق سفينتين و الإستلاء على أخرى، وفتح نار مدفعيته على تحصين رئيسي من تحصينات بجاية، القلعة التي بناها بيدرو دينافارو913هـ/ 1510[6].

---

[1]- محمد الوزان، المصدر السابق، ص: 51 ؛أحمد ابن أبي الضياف، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الآمان، تونس: الدار التونسية للنشر، 1977، ص: 177.

[2]- عبد الحميد ابن أبي زيان ابن أشنو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، الجزائر: 1969، ص: 64.

[3]- نايت قاسم مولود قاسم، شخصية جزائرية الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، الجزائر: دار البعث للطباعة، ط1، 1985،ص: 58.

[4]- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، الجزائر: دار هومه،ط2، 2007، ص: 44.

[5]- خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين، تح: محمد دراج، الجزائر: شركة الأصالة،ط1، 2010، ص: 70.

[6]- المصدر نفسه، ص:71.

لقد قام الإخوة بربروس بوضع خطة محكمة من أجل تحرير مدينة بجاية حيث تظاهروا بالابتعاد بقوتهم عن مدينة بجاية، فانطلق الأسطول الاسباني لمطاردتهم، وعندما وجد الإخوة بربروس أن بعض قطع الأسطول قد أصبحت ضمن مجال مدفعيتها، قاموا بالانقضاض المباغت عليها، وجرت معركة قاسية نجح فيها عروج بالاستيلاء على سفينة اسبانية وأغرق أخرى، فيما لاذت بقية قطع الأسطول بالفرار[1].

رأى خير الدين وجوب محاصرة المدينة بحرا وقطع كل مدد عنها، بينما يشدد المسلمون عليها نطاق الحصار برا، إلى أن تستعد للاستسلام، بينما يرى عروج وجوب النزول إلى البر ومواجهة المدينة من جهةفي حين يكون أهل البلاد من المجاهدين يهاجمنها من الجهة المقابلة، وكان هو القائد فأخذ برأيه نزل من سفنه صحبة خمسين رجلا من رجاله العثمانيين الأشداء فتقدم مستطلعا نحو أسوار المدينة وحصونها، وكان الاسبان ينظرون إليهم من فوق الشرفات[2]، وما إن اقترب عروج من المدينة حتى أفرغ الكفار عليه وابل من الرصاص من برج عالي فاخترقت رصاصة ذراعه الأيسر، هذه الإصابة أثنت من عزيمة جيشه، وقد بعث له أخوه خير الدين المدد ليجلبوه إلى سفينته وأبحر عروج بعدها منسحبا إلى تونس[3].

لقد استفاد عروج من تجربته الاستطلاعية لمدينة بجاية، فعرف انه من المحال محاصرتها وخوض حرب طويلة ضدها وهو في قاعدة حلق الواد، فقرر فتح جيجل واتخاذها قاعدة لجمع القوى للعمليات المقبلة[4].

ويذكر خير الدين بربروس في مذكرته" بلغنا أن قوات اسبانية تحركت من جزيرة مينورقة في طريقها إلينا بعد عودتنا من تونس فتركنا بجاية وانسحبنا إلى جيجل لترصد القوات الاسبانية القادمة من مينورقة وأخيرا لاحت لنا في الأفق عشرة سفن من نوع قادرغة كانت مشحونة بالأسلحة

[1]- بسام العسلي، المرجع السابق، ص: 87.

[2]- تواتي بومهلة، بجاية حاضرة البحر ونادرة الدهر،الجزائر:دار المعرفة، 2010،ص: 119.

[3]- مجهول، غزوات عروج وخير الدين، ص: 34.

[4]- بسام العسلي، المرجع السابق، ص: 87.

والمعدات العسكرية، فقال أخي عروج هذه نعمة ساقاها الله إلينا ودارت معركة كبيرة أسفرت على إستلائنا على السفن العشرة، ولم يبقى من الجنود الاسبان على قيد الحياة إلا ثمانية وسبعين جنديا أخدناهم أسرى وقيدناهم بالعمل في الجذف"[1].

2-المحاولة الثانية لتحرير مدينة بجاية:

بعد فشل المحاولة الأولى للإخوة بربروس في تحرير بجاية وكررو الهجوم على الاسبان للمرة الثانية (917 -918هـ/ 1514 – 1515[2])،ففي(917هـ/ 1514) تمكن عروج و إخوته من افتكاك مدينة جيجل من الجنويين اللذين أقاموا بها لصيد المرج انعام916هـ/ 1513م)واتخذوها قاعدة لهم بدلا من جربة وفي شهر أكتوبر(918هـ/ 1514)جدد عروج وإخوته الهجوم على الاسبان في مدينة بجاية وكرروا ذلك في العام الموالي ولم يوفقو في إفتكاكها والمحاولة الأخيرة في(919هـ/ 1515م)[3]، تسببت في إحراقهم لأسطولهم البحري المؤلف من أربعة عشر مركبا بحريا في مصب وادي الصومام، وفعلوا ذلك حتى لا تقع مراكبهم في أيدي أعدائهم الإسبان[4]

في هذه المحاول لتحرير مدينة بجاية من يد المغتصب الاسباني جاء عروج وجنوده بالعمارة البحرية للمشاركة في العملية واقتمت سفنه مصب نهر واد الصومام نزل جيشه وراء الحصون المواجهة للوادي، وجه قوة المدفعية صوب معقل القصر الصغير والتفوا حول الخندق المحيط به، لذلك توحد الاسبان من أجل مواجهة المسلمين[5].

وفي هذه المعركة أستشهد القائد محمد الياس، و أدرك عروج وشقيقه خير الدين أن هذه الجهود المبذولة لن تأتي بنتيجة وان الخسارة في الأرواح التي أصابت جموع المسلمين تجعل من الصعب

[1]- خير الدين، مذكرات خير الدين، ص: 71.

[2]- عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ عامة ما قبل التاريخ إلى 1962، الجزائر: دار المعرفة، 2009، ج1، ص: 257.

[3]- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزائر: دار المطبعة الجامعية،(ط7) ،1994، ج3، ص: 261.

[4]- يحيى بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أروبا 1500 - 1830 ،الجزائر: دار البصائر، 2009، ص ،ص: 35 ،36

[5]- بومهلة التواتي، المرجع السابق، ص ، ص: 119 ، 120.

الاستمرار في مواجهة الحصون والمعاقل التي لا تزال على حالها ، إضافة إلى ذلك فقدان البارود الذي استنزفت الألغام كل مدخراته فقرر الحصار مؤقتا والرجوع إلى المركز بجيجل[1].

وبين عامي(920-921هـ/ 1515 – 1516م)حاصر أبو بكر الحفصي مدينة بجاية وأثناء ذلك قام السلطان الحفصي لتونس بالاستلاء على أراضيه في عنابة وتبسة و العباس ابن أخيه نجح في كسب سكان برج جمرة وميلة وحاول أبي بكر أن يوقف هذا التمرد الذي قام ضده، جمع الأمير العباس مناصريه في قلعة بني العباس وسعى أن يكون حاكما على واد الساحل لكن ابا بكر شن عليه هجوما ، وقتل كل من حاول مقاومته، فتوجه الأمير العباس مع وزيره ابن الناصر نحو جبال زواوة آملين أن يجدا ملجأ هنالك، لكن كل الدروب مقطوعة آنذاك بسبب الثلوج المتساقطة،وتغلب أبا بكر على العباس وعاد في(922هـ/1517م)إلى قسنطينة ولم يعد يسمع عن أبا بكر أي شيء[2].

وفي أوائل عام (922 هـ / 1516م)إستنجد سكان مدينة الجزائر – اللذين كانت تحكمهم قبيلة الثعالبة[3]بعروج لتخليص مدينتهم من الحامية الاسبانية التي أقامت حصنا على إحدى الجزر المتواجدة بالقرب من مدينة الجزائر حصن البانيون (le pénom) [4] فاستجاب عروج لهذا النداء وتوجه بنفسه على رأس جيش عن طريق البر وأرسل في الوقت نفسه قوة أخرى عبر البحر إلى مدينة الجزائر [5].

وعند وصوله شرع في قصف الحصن لعدة أيام لمن ضربات مدافعه لم تصل إلى أهدافها وأدى ذلك إلى تذمر سكان مدينة الجزائر بما فيهم سالم التومي، وأظهروا ندمهم على الاستغاثة بالعثمانيين،

[1]– أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص: 154.

[2]– يوسف بنوجيت، المرجع السابق، ص-ص:127 – 129.

[3]– قبيلة الثعالبة: قبيلة عربية تنحدر من ثعلب بن علي بن بكر صغير بن عبيد الله، ينظر عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر والعرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت: مؤسسة الجمال، المجلد السادس، دن، ص:126.

[4]– حصن البنيون: أنشأه الإسبان قبالة مدينة الجزائر 1510م و كان مكان للجوسسة ومركز للعمليات العسكرية وسلب أموال الجزائريين وقام بتحطيمها الإخوة بربروس ،كليل صالح ، المرجع السابق، 35.

[5]– أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، 1766 – 1791، المؤسسةالوطنية للكتاب الجزائر، 1986: ص، ص: 23، 24.

وتسبب ذلك في وقوع مناوشات بينهم وبين العثمانيين فكان تدخل عروج عنيفا وقام باغتيال سالم التومي خنقا، وأعلن نفسه حاكما على مدينة الجزائر[1].

وفي922هـ/ م1517 توجه عروج إلى تلمسان ملبيا نداء سكانها وطلب أبو حمو النجدة من الحامية الإسبانية بوهران، وتمكن عروج من دخول قلعة بني راشد وواصل سيره إلى تلمسان ودخلها بدون مقاومة، ونصب ابن أخ أبو حمو الثالث أميرا على تلمسان، وبعد فترة نصب نفسه سلطان على تلمسان[2]، وفي جانفي1518 م الإسبان يستولون على قلعة بني راشد ويتوجهون إلى تلمسان وتمكنوا من قتل عروج وجنوده923هـ/ 1518 بنواحي عين تيموشنت[3]، فخلفه في حكم مدينة الجزائر أخاه خير الدين وبعد ذلك أرسل إلى السلطان العثماني رسالة وهدايا وقلم السلطان بارسال نحو 2000 جندي انكشاري وعدد من السفن الحربية، وأصبحت الجزائر تابعة رسميا للخلافة العثمانية[4].

أعاد خير الدين بربروس تنظيم الجزائر بعد وفاة أخيه فقسمها إلى قسمين :قسم شرقي: يمتد من شرق مدينة الجزائرية إلى حدود المملكة الحفصية تشمل بلاد الزواوة الجبلية ووضع على رأسها سلطان كوكو أحمد ابن القاضي ببلاد زواوة، أما القسم الغربي: من الجزائر إلى حدود الدولة بني زيان ووضع لإدارتها محمد بن على وظن خير الدين أنه بإمكانه الاعتماد على حاكمين محليين[5]، هذا التنظيم أثار نقمة عبد العزيز ملك قلعة بني عباس، العدو اللدود لأحمد بن القاضي، فهذا التنظيم وضع عدوه أميرا وحاكما عليه فحمل لواء العصيان وأعلن التبعية للملك الحفصي بتونس.

غير أن التهديد الأعظم كان من ابن القاضي الذي ما إن قويت شوكته أعلن التمرد على خير الدين و انظم ابن القاضي إلى السلطان الحفصي ليقدم له الدعم[6] وحاول خير الدين تسوية مشكل

---

[1] -Diego Haedo , Histoire des Rois D'alger, Traduit par de G rammont (Henri- belmas) Bouchenecoll Sait denis , 1998 , p : 53

[2]- عمار عمورة، المرجع السابق، ص: 260.

[3]- بسام العسلي، المرجع السابق، ص: 113.

[4] -Diego Haedo . op.cit, p : 53.

[5]- بسام العسلي، المرجع السابق، ص: 114.

[6]- المرجع نفسه،ص:115.

مشكل ابن القاضي الذي اتهمه بصراحة بأنه هو الذي تسبب في مقتل أخيه عروج ولن يغفر له ذلك، فشيد خير الدين مستوطنة تتكون من الانكشاريين وسلحهم وأرسلهم إلى بلاد الزواوة لمواجهة ابن القاضي في عقر داره وأرسل حسن القارة على رأس الجيش فتمكن من طرد الملك كوكو من جباله، ولحقه حتى القل واستولى عليها[1]،لذلك طلب ابن القاضي المساعدةمن طرف السلطان الحفصي وفي هذا الوقت خرج خير الدين على رأس الجيش لقمع التمرد لما وصل وقعت المعركة بينهما.

لم يستطع خير الدين مواجهة جيش ابن القاضي مع السلطان الحفصي فانهزم خير الدين بربروس وقتل معظم جيشه ولم ينج إلا هو وبعض من جيشه فتراجع خير الدين إلى مدينة جيجل، وبعد الانتصار الذي حققه ابن القاضي قام بالزحف إلى مدينة الجزائر والاستيلاء عليها بسهولة (925هـ/ 1520[2]).

لقد اختلفت المصادر حول المدة التي مكث فيها أحمد ابن القاضي في مدينة الجزائر فمنهم من قال أربع سنوات[3]ومنهم قال سبع سنوات[4]، ولكن من حسن حظ خير الدين بربروس كما يقول "جون بول ولوف " أن أتباع ابن القاضي لم يكونوا مستعدين للاستيلاء على مدينة الجزائر فبدلا من أن يحلوا محل الأتراك، قاموا بنهبها، وعاثوا فيها فسادا، مما أدى إلى سخط سكان الحضر واتضح لهم جليا أن حكم الأتراك أرحم من رجال ابن القاضي[5].

بعد انقلاب ابن القاضي على خير الدين لم يجد هذا الأخير من سبيل إلا اللجوء لعبد العزيز سلطان بني عباس، فطلب التحالف معه في عام930هـ/ 1527م للانتقام من ابن القاضي واسترجاع مدينة الجزائر، ودعمه السلطان عبد العزيز بجيش كبير فتمكن من الإيقاع بابن القاضي

[1]- بسام العسلي، المرجع السابق، ص: 114.

[2]- كورين شوفاليه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510 – 1541، تر: جمال حمادنة، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص ،ص: 42 ،43.

[3]- مجهول، غزوات عروج وخير الدين، ص ،ص: 40 ، 41.

[4]- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاث مائة، ص: 65.

[5]- مجهول، غزوات عروج وخير الدين، ص: 44.

موقعة ثنية بني عائشة، حيث قتل على يد أحد أتباعه ، وأشار صاحب الغزوات إلى أن ابن القاضي قتل على يد خير الدين بربروس[1].

ولقد دعم خير الدين بربروس تحالفه مع عبد العزيز السلطان بني عباس بمعاهدة929هـ/ 1529م وهي معاهدة التحالف والتعاون، واستمرت علاقة الصداقة والود بين عبد العزيز وخير الدين بربروس حتى مغادرته إيالة الجزائر إلى اسطنبول بعد استدعائه من طرف السلطان سليم الأول936هـ/ 1533م الإشراف على قيادة الأسطول العثماني برتبة قابودان باشا فخلفه في حكم الإيالة مساعد حسن آغا[2] الذي حافظ على العلاقة الحسنة بينه وبين سلطان قلعة بني عباس فلا شك أن البيلرباي الجديد قد أدرك أهمية التحالف مع هذا الزعيم بنفسه نتيجة ملازمته لخير الدين ولمكانته في المنطقة[3].

وفي(944هـ/ 1541م) تمكن حسن آغا من صد حملة شارل الخامس على مدينة الجزائر، وقد ساعده سلطان بني عباس، أما أمير كوكو الحسين بن القاضي الذي خلف أخاه احمد بن القاضي، كان قد واعد الإمبراطور شارل الخامس بتقديم مساعدة له في مدينة الجزائر لكن انهزام هذا الأخير أدى إلى تقديم تلك المساعدة في ميناء بجاية حيث انسحب إليه الملك شارل الخامس[4]وفي(945هـ/ 1542) قرر البايلرباي حسن آغا معاقبة الأمير كوكو الحسين ابن القاضي بسبب تآمره مع شارل الخامس، فطلب مساعدة عبد العزيز الذي دعمه بجيش فتمكن من القبض عليه وطلب الأمان معلنا خضوعه وقبول دفع ضريبة مع تسليم ابنه كرهينة فأعطاه الباشا الأمان[5] .

---

[1]- جون بول وولف، الجزائر وأروبا، تر ، أبو القاسم عبد الله، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب،1986، ص: 39.

[2]- مجهول، غزوات عروج وخير الدين، ص: 45.

[3]- حسن آغا: من أصل سرديني، جاء به رجال البحرية الجزائرية، ونشأ في حاشية خير الدين فلاحظ خصاله الحميدة وإخلاصه ووفائه فاختاره خليفة له لثقته الكبيرة فيه، وهو الذي تصدى لحماية شارل الخامس على الجزائر 1541. ينظر: مولاي بالحميسي، غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر ضمن الأصالة، العدد الثامن، جوان، 1972. ص: 93.

[4] -Diego Haedo ,op.cit. p : 228.

[5] -Ibid . p : 230 .

وبعد وفاة حسن آغا (947هـ/ 1544م)،خلفه بصفة مؤقتة الحاج بكير حتى قدم من اسطنبول حسن باشا بن خير الدين الذي عينه السلطان بايلرباي على إيالة الجزائر، واستمر التحالف بين حسن باشا وعبد العزيز سلطان بني عباس ، حيث أرسل جيش بقيادة حسن قورصو وشارك إلى جانبه عبد العزيز سلطان بني عباس للقضاء على سلطان فاس بسبب قيام جيشه بالاستيلاء على تلمسان[1]، كما أن عبد العزيز شارك بجيشه لقمع تمرد الجنوب، وبسبب قوة جيشه ،أحسوا العثمانيين أنه سيوجه هذه القوة ضدهم، وحسن باشا كان يخشى من تزايد نفوذ عبد العزيز، ففكر في التخلص منه وإخضاع إمارته، لكن السلطان العثماني استدعاه إلى اسطنبول عام(954هـ/ 1551م) حال دون ذلك[2])

2/ التحرير النهائي لمدينة بجاية:

بعد مغادرة حسن باشا الجزائر إلى اسطنبول خلفه في الحكم القرصان صالح رايس[3] 955هـ-959هـ/ 1552 – 1556[4]، وفي جانفي (957هـ/ 1554)حرر قلعة بادس وتوجه إلى تلمسان وخلع السلطان الزياني وضم تلمسان إلى حكم العثماني الجزائري[5].

وفي(958هـ/ 1555)توجه صالح رايس إلى مدينة بجاية وانظم إليه عبد عزيز سلطان قلعة بني عباس ،ووضع إستراتجية محكمة لتحرير مدينة بجاية من أيدي الاسبان اللذين بلغ عددهم 500 موزعين على الحصون الثلاثة، برج عبد القادر، برج موسى والقصبة، وكانوا لا يبرحون هذه التحصينات.

[1]- مرمول كربخال، المصدر السابق، ص: 420.

[2]- المصدر نفسه، ص: 421.

[3]- صالح رايس: عربي الاصل من الإسكندرية تعرف على الأتراك حين قدومهم إلى مصر، ورافق خير الدين في رحلاته البحرية وحكم إيالة الجزائر1555م وحرر بجاية وتوفي عن عمر يناهز70 عام. ينظر: سفيان صغير، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد البدايات في الجزائر 1671_1830م رسالة ماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة:2011- 2012، ص:30.

[4]- يوسف بنو جيت، المرجع السابق، ص: 154.

[5]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 50.

وحينما دخل صالح رايس بمجوعة من جيشه إلى سهل بجاية وجبالها بخطة عسكرية محكمة دخل 22 مركبا للميناء ،ونصب مدفعية بأحد مرتفعات الجنوب غرب برج موسى بسرية وهدمه في بضعة أيام، هجره الاسبان في محاولة لجمع قوة الدفاع[1]

وبعد السيطرة على الجزء الغربي من المدينة وجه نيران مدفعيته ضد برج عبد القادر وسقط البرج في خمسة أيام ، وكان قائد الحامية دون ألونصو بيرالطا محتميا داخل القصبة وقام مدة 24 يوم، وبعدها تحررت بجاية، واستسلم الدون الفانسوادي برالتا آخر حكام الاسبان في بجاية ولم تظهر شجاعة الاسبان في هذه المرة، فقد كان الحاكم عاجزا حتى عن وضع شروط وثيقة الاستسلام يستفيد منها رجال الحامية، ففي هذه المناسبة لم يسمح العثمانيون إلا لعشرون من جنود التابعين له بالانسحاب معه[2].

المبحث الثالث : إمارة كوكو و قلعة بني عباس.

نشأت إمارةكوكو وبني عباس بعد الإحتلال الإسباني لمدينة بجاية، فإمارة كوكو تأسست سنة(914هـ/1511م) (،على يدي أحمد بن القاضي) (،وكان لإمارة كوكو نفوذ سياسي في بلاد زواوة حيث مارس سلاطينها سلطتهم على القبائل ،وربطوا علاقات مع السلطة الحاكمة بالجزائر،أما قلعة بني عباس نشأت سنة(913هـ/1510م) في بلاد زواوة ،وكان لها دوراً سياسيا مهماًخلال العهد العثماني.

1-نشأت إمارت كوكو.

تنسب أسرة آل القاضي إلى عباس ابن عبد الله الغبريني، كبير بجاية وقاضيها في عهد أبي القضاء الحفصي حاكم بجاية 1311م وهم من قبيلة غبرين وهي فرع من صنهاجة، استقرت منذ القديم في أعالي سيباو[3] ،ونجد منهم أحمد آل القاضي الذي أسس إمارة كوكو سنة 916هـ/1511م، أقام في

[1]- علي خلاصي، القلاع والحصون، المنشآت العسكرية الجزائرية في العهد الحديث، الجزائر: 2007، ص: 120.

[2]- هاينريش فون ماليستان، المصدر السابق، ص: 114.

[3] -أبو العباس الغبريني أحمد بن أحمد عبد الله، الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة في بجاية، تح، عادل نويهض، بيروت: 1999، ص

البداية في أورير وهي قرية تقع فوق سلسلة جبال أكفادوا حيث يمارس سلطته على بعض قبائل المنطقة ثم امتد نفوذه إلى كل المناطق الواقع بين دلس وجيجل ثم إلى أهل آيت يحي في كوكو[1] ، وقد أدت دورا هاما خاصة في عهدها الأول 917-1023هـ/ 1512- 1618م حيث بلغ تأثيرها سهل متيجة في بعض الأحيان.

ولعبت تلك القبائل دورا محوريا في المجال السياسي والعسكري تمثل في التحالف الداخلي تحت إمارة كوكو مع العثمانيين[2] ذلك أن العثمانيين أدركوا منذ البداية أهمية التحالف مع إمارة كوكو، نظرا لقوة تأثيرها على سكان المناطق الخاضعة لها [3]حيث أنه في حملة عروج على تلمسان شارك بعض من جيش زواوة بقيادة أحمد بن القاضي 920-921 هـ/ 1517- 1518 م وفي هذه الحملة استشهد عروج بربروس.

ولم يدم هذا التحالف بعد استشهاد عروج بربروس، حيث ذكر خير الدين بربروس في مذكراته " أن ابن القاضي كان متحالفا مع سلطان تونس عبد الله الذي كانت له أطماع في ضم الشرق الجزائري إلى السلطة الحفصية [4] وكدليل على ذلك الرسالة التي وقعت بين يدي خير الدين التي أرسلها عبد الله السلطان الحفصي إلى ابن القاضي أميرإمارة كوكو ومما جاء في تلك الرسالة " لنكن أنا وإياك يدا واحدة لاستئصال شأفة الأتراك ونطرد خير الدين من الجزائر، فأكون أنا سلطانا عليها في مكانه، وقتها سوف أغدق عليك أموالا طائلة ، ولقد كان والدي يحب الأتراك كثيرا أما أنا فلا يوجد قوم أبغض إلي منهم"[5].

وبعد التأكد من مساندة ابن القاضي للسلطان الحفصي ، انطلقت الوحدات التونسية إلى جبال فليسة في بلاد زواوة في موقع كان بالقرب من ذراع بن خدة، والتحمت الجيوش التونسية مع

[1]- محمد الصغير فرج، المرجع السابق، ص: 28.

[2]- زين الدين قاسمي،قيادة سبا وتاريخ منطقة القبائل في العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي،الجزائر:دار الأمل،2009، ص:33.

[3]- نصر الدين سعيدوني ، والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، الجزائر: وزارة الثقافة، 1984،ص: 108.

[4]-مذكرات خير الدين، المصدر السابق،ص: 117.

[5]- المصدر نفسه، ص: 109.

جيوش ابن القاضي، وفي ذلك الوقت أرسل خير الدين جيش وعلى رأسه حسن قارا ،الذي تمكن من الوصول حتى القالة ،فتراجع ابن القاضي إلى عنابة [1]

وحين وصل المدد من السلطان الحفصي لابن القاضي ،خرج خير الدين على رأس جيش باتجاه الشرق لقمع تمرد ابن القاضي ،فلما وصل وجد الجيش الحفصي إلى جانب جيش ابن القاضي ودارت معركة قوية بينهما ولم ينجو من الجيش العثماني إلا خير الدين وبعض من جيشه ،فانسحب إلى مدينة جيجل القاعدة الثانية بعد حلق الواد، وبعد انهزام خير الدين شعر ابن القاضي بنشوة الانتصار وتوجه إلى مدينة الجزائر من أجل الاستيلاء عليها، وحاصرها وتمكن من دخولها عام(923هـ/ 1520م،)وهناك تضارب في تحديد مدة بقائه بها فهناك من المؤرخين من ذكرها بأربع سنوات ومنهم من ذكرها بسبعة سنوات[2].

وبدلا من أن يحل جيش ابن القاضي محل العثمانيين بدأ بالنهب ، وإثارة الفساد في المدينة، مما أثار إستياء سكان المدينة من الحضر والمهاجرين الأندلسيين منهم ، واتضح لهم أن حكم العثمانيين أرحم من رجال ابن القاضي[3]، ونظرا لتصرفات جيش ابن القاضي لجأ سكان مدينة الجزائر إلى طلب النجدة مجددا من خير الدين ، وقام هذا الأخير باللجوء إلى السلطان عبد العزيز وطلب التحالف معه(930هـ/ 1527م)للانتقام من ابن القاضي واسترجاع مدينة الجزائر، فدعمه السلطان عبد العزيز بجيش كبير ، وأبحر خير الدين القائد العثماني متجها إلى الجزائر[4] ولما علم ابن القاضي بذلك خرج من مدينة الجزائر وتوجه للقاء خير الدين وهو في الطريق قتل على يد أحد أتباعه ويذكر صاحب الغزوات أن ابن القاضي قتل على يد خير الدين[5]

[1]- بسام العسلي،المرجع السابق،ص:114.

[2]- أحمد توفيق المدني، حرب ثلاث مئة، ص: 65.

[3]- جون بول ولف، المرجع السابق، ص: 39.

[4]- زيد الدين قاسمي، قيادة سيباو، ص: 35.

[5]- مجهول، غزوات عروج و خير الدين ص: 45.

وبعد مقتل ابن احمد بن القاضي خلفه أخوه الحسين ابن القاضي الذي ضل متمردا ووعد الإمبراطور شارل الخامس بتقديم المساعدة له في حملته على الجزائر (944هـ/1541م)، لكنه انهزم فأدى ذلك إلى تقديم الحسين ابن القاضي المساعدة له في ميناء بجاية الذي انسحب إليه شارل الخامس [1].

وفي(945هـ/ 1542) قام حسن آغا بحملة قدرت ثلاثة آلاف جندي وألفي فارس وألف متطوع مدعمين بإثني عشر مدفعا متجها إلى المنطقة لتأديب السلطان كوكو حسن ابن القاضي وكانت نتيجة ذلك طلب الصلح والعفو مقابل دفع الأموال ورهائن كضمان على ولائه للحكم العثماني ودفع إتاوة وابنه كرهينة[2]، كما أنه وفي سنة(958هـ/ 1555م)،عندما قرر صالح ريس تحرير مدينة بجاية، شارك إلى جانبه سكان إمارة كوكو بجيش بري إلى جانب البحرية العثمانية من أجل طرد الاسبان من بجاية، إضافة إلى مشاركتهم في حملة حسن ابن خير الدين سنة(962هـ/ 1559م) على قلعة بني عباس، والتي من نتائجها مقتل عبد العزيز سلطان قلعة بني عباس، توجت العلاقة بالتقارب وذلك من خلال علاقة المصاهرة حيث تزوج حسن ابن خير الدين من ابنة سلطان إمارة كوكو والعلج علي[3]بابنة أخ السلطان وبذلك حقق العثمانيون مكاسب مهمة[4]، كما ساهم آل القاضي في عهد خيضر باشا في حملة على قلعة بني عباس، ودامت هذه الحملة شهرين كاملين وكانت نتيجتها دفع الضريبة التي فرضت على بني عباس[5].

ولقد تحول مركز قيادة إمارة كوكو إلى أورير وأشلام حيث قبيلة آث غيري منذ سنة (1038هـ/ 1636م)،بعدما قتل السلطان اعمر ابن القاضي عام(1020هـ/ 1618م)،وأثر

1 - Diego Haedo , op, cit, p:230

[2]- زيد الدين قاسمي، المرجع السابق، ص: 67.

[3]- العلج علي: هو إطالي وقع في الأسر في إحدى حملات خير الدين إعتنق الاسلام وأظهر براعته في البحر، وهو بطل معركة ليبانت 1573م وارتقى إلى منصب بايلرباي الجزائر، ثم على رأس الاسطول العثماني قابودان باشا، ينظر: أحمد توفيق المدني ، حرب ثلاثة مئة، ص: 373 ؛ محمد بن يوسف، العلج علي ودوره في البحرية العثماني، رسالة ماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر 1982، ص: 33.

[4]- مرمول كربخال ، إفريقيا، ص: 378.

[5]- زيد الدين قاسمي، المرجع السابق، ص،ص: 70،71.

ذلك الوضع المتردي سلبا على مكانة الإمارة في أوساط قبائل جرجرة فتراجعت هيبتها وخرجت عدة قبائل عن طاعتها لاسيما القبائل القوية منها آث جناد وإفليسن وآل بختوش، خلفاء آل القاضي سيسترسلون لربط علاقات بالعثمانيين بمدينة الجزائر[1] لذلك شارك الزواويين في صد الهجوم المغربي الذي قاده السلطان إسماعيل المغربي على تلمسان (1094هـ/ 1692م)، لكن الإمارة تعرضت في نفس السنة لضربات داخلية من طرف أولاد مقران بمجانة وانحصر نفوذها في عدد من قبائل سيباو العليا[2] كانت إمارة كوكو تمثل جانب القوة العسكرية لبلاد زواوة ،ويبدو انها تستمد قوتها من القبائل، لذلك ربط العثمانيين علاقاتهم بسلاطينها،فكانوا يساعدونهم في حملاتهم ،و كثير ما توجت هذه العلاقات بصراعات خاصة في عهد خير الدين بربروس، ،إلا أن قلة المصادر حال دون أن نعرف الدور السياسي لإمارة كوكوفي سنوات كثيرة ،ولا كيف كانت نهايتها إذا يتوقف تاريخ دراستها 1094هـ/1692م.

تعتبر قلعة بني عباس من أهم القلاع التي بنيت في آعالي قمم الجبال في الجزائر، أسستها أسرة بني عباس الحفصية في مطلع القرن 16م، واتخذت منها عاصمة لإمارة حقيقة دامت أزيد من قرن وأربعة عشر سنة، مليئة بالأحداث السياسية والعسكرية على الخصوص، دافع سلاطينها بكل شجاعة وقوة عن استقلالها ضد كل من حاول إخضاعها والاستيلاء عليها بدءا من الاسبان اللذين تمكنوا من احتلال المناطق القريبة منها.

2-قيام قلعة بني عباس.

رغم أن قلعة بني عباس نالت مكانة هامة خاصة في العهد العثماني في الجزائر، إلا أن تاريخ تأسيسها لا يزل غامضا فنجد هناك روايتين مختلفتين حول تأسيس القلعة نوردهما في ما يلي:

الرواية الأولى: وتشير إلى أن جد بني عباس يسمى سي عبد الرحمان قدم من المغرب الأقصى وكان مرابطا خلال القرن الثامن عشر للهجري (14)م، وهو من تلامذة الشيخ سدي يحي العبدلي،

[1]- زيد الدين قاسمي، المرجع نفسه، ص: 70.

[2]- المرجع نفسه، ص: 71.

وولده هو الذي بنى قلعة بني عباس وأقام مملكة فيها، بأن أسس العساكر[1] وجيش الجيوش أخذ المغرم في القرن التاسع للهجري عشر (15م) ووصلت عساكره" عمالة تونس ووادي ريغ" في الصحراء، ومن جهة المغرب: مزاب وبلد الأغواط[2]، وإن كانت هذه الرواية صحيحة، فمعنى ذلك أن قلعة بني عباس وجدت قبل أن يلجأ إليها سيدي عبد الرحمان.

وأما عن الرواية الثانية: فترجع تأسيس القلعة إلى الحفصيين ،حيث تذكر هذه الرواية الأمير ين الحفصيين العباس وعبد الرحمان أبناء السلطان عبد العزيز الحفصي حاكم بجاية، اضطر إلى الانسحاب إلى قلعة بني عباس عندما سقطت بجاية في أيدي الاسبان عام913هـ/ 1510م ، وقد أشار إلى ذلك المؤرخان الإسبانيان مرمول (marmol) [3] وهايدو (haedo) عندما ذكر أن ملك بجاية فر مع حاشيته وأمواله والتجأ إلى الجبال المجاورة للمدينة[4]، والتي عرفت بأنها جبال وعرة المسالك شديدة الانحدار[5]، ومن خلال أحداث الرواية الثانية يتضح أن تأسيس قلعة بني عباس كان في القرن العاشر للهجري عشر(16م).

بعد أن قتل الأمير أبو بكر الحفصي أخاه عبد العزيز أمير بجاية في جوان 1510 خلفه ابنه الأمير العباس الذي ارتبط اسمه بالقلعة ،وحاول العباس بن الأمير عبد العزيز الإنتقام لوالده، ولجأ إلى عقد معاهدة مع الاسبان ولما علم الأمير أبو بكر الحفصي بهذه المعاهدة أرسل أنصاره لمطارة العباس ابن أخيه، الذي كلف بدوره وزيره لكسب مناصرة بني عبد الواد وتوجين الساكنين على ضفاف وادي الصومام، فقبض عليه أبا بكر وقتله وزحف نحو القلعة وتوعد لخلع العباس لكن لم يتمكن من خلعه أمام مناعة هذا الحصن الطبيعي[6].

---

[1]- الحسن بن محمد الورثلاني، نزهة الأنظار في فضل عام التاريخ والاخبار المشهورة بالرحلة الورثلانية، تح، ابن مهنا القسنطيني، الجزائر: المعرفة الدولية ، ط خ ن 2011-ص: 102.

[2]- الحسن الورتلاني، المصدر السابق، ص: 103. ؛صالح فركوس،إدارة المكاتب العربية،ص :475.ينظر:ملحق رقم2 ،وهو عبارة عن خريطة.

[3]- الحسن الورتلاني، المصدر السابق، ص: 103.

[4]- مرمول، المصدر السابق، ص: 345.

[5] -Diego Haedo , op , cit , P : 336.

[6]- يوسف بنوجيت، المرجع السابق، ص: 99.

ومنذ أن تمكن الاسبان من احتلال بجاية عام913 هـ/1510 م[1]، كان الملك فاردیناند حريصا على إيجاد حليفا قويا في المنطقة لحماية ظهر الحامية الاسبانية بالمدينة من الداخل ،أو ما يسميه المؤرخين الأوربيين pays l'arriére، وكذلك لضمان تموين مستمرا لها، وتوصل الملك بعد مفاوضات على عقد معاهدة مع العباس، ويتضح ذلك من خلال المراسلة الثانية (23 أكتوبر 1511م) التي توضح الخطوات التي ينبغي اتباعها وهدفها، وتبدأ المراسلة ب " هذا ما يجب عليك أن لا تضيع أدنى وقت في الالتحاق بهذه المدينة، وعليك أن تبلغنا بما تم إنجازه وما تبقى من إنجازه".

وطلب منه تشييد حصنيين لتدعيم العدة الدفاعية في المنطقة، وتحقيق أعباء مصاريف الحامية وتقليل عدد القوات المسلحة في الحراسة وستكفي حامية من 300 رجل لحراستهما والدفاع عن مدخل المرفأ ومخرجه، وشددت المراسلة على الهدف الرئيسي من المهمة وهو إبرام المعاهدة[2]

ومن بنود هذه المعاهدة:

1/ الاعتراف بسيادة الأمير عبد العزيز على البلاد الداخلية.

2/ الاعتراف بحق السيادة لمولاي عبد الله على بجاية كمكافئته على الخدمات التي قدمها، بمعنى أنه حق صوري فقط، ليكون لقب الملك ساري المفعول بالمقابل يعترف الطرف الحفصي بسيادة الإاسبان على المناطق الرئيسية على الساحل التابعة نظريا لمملكة بجاية سابقا، ولم يكن على الإسبان تنصيص حقوق بهذا السند الذي يكرس حقا كان قد فرض بالقوة.

3/ إعادة الأسرى الإسبان إلى إسبانيا، وينص البند الأخير على التحالف الدفاعي الهجومي بين الطرفين، وبمقتضى ذلك يعين الإسبان أميري القلعة للوقوف ضدالأمير أبو بكر.

طالبت إسبانيا أميري القلعة بالرهائن لضمان هذا الاتفاق، فسلم العباس ابنه محمد، وهو الحال بالنسبة للمولى عبد الله، ومن البنود الأساسية لهذه المعاهدة أن يتكفل المعزومون بالسوق على

[1]- الحسن الوزان، المرجع السابق، ص: 50.

[2]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص: 50.

توفير 3600 فينق من القمح ،و100 فينق من الشعير، و50 فينق من الفول ،و1000 رأس من الغنم و50 بقرة سدد ثمنها إلى جانب 1000 حمولة من الحطب تسلم مجانا.

إستفاد سلطان بني عباس كثيرا من تحالفه مع الاسبان الذين زودوه بكميات معتبرة من السلاح والذخيرة كما أرسلوا له البنائين لمساعدته على بناء تحصينات بالقلعة[1] قد يكون هدف سلطان قلعة بني عباس من وراء هذا التحالف توسيع مملكته وتحقيق التفوق العسكري.

وبذل الاسبان حسب هايدو كل جهودهم لمنع قيام أي تحالف بين زعيمي إمارتي بني العباس وكوكو ضدهم وسعوا أيضا إلى تقسيم منطقة زواوة ،للقضاء على أي محاولة لمقاومتهم[2]

إن قدوم الإخوة بربروس إلى الجزائر في مطلع القرن العاشر عشر للهجري (16م) ،سيكون له الأثر العميق على علاقة سلطان بني عباس بالإسبان المتواجدين في مدينة بجاية، وهذا سيؤثر على علاقته بآل القاضي في إمارة كوكو، فنجد أن خير الدين تمكن من إخضاع سلطان بني عباس رغم قوة جيشه، واختار هذا الأخير الخضوع بدلا من الدخول معه في مواجهة غير مضمونة النتائج، وبعد خضوعه تعاهد السلطان عبد العزيز مع خير الدين بفسخ تحالفه مع الإسبان، ويذكر صاحب الغزوات" فضرب عليه خير الدين بجماعة الغزات إلى أن تمكن منه، فلما رأى أنه حاصل في قبضته وأنه لا خلاص من يده فصارحه على العدد الذي كان يعطيه للنصارى، وجعله لخير الدينبربروس، فرضي منه بذلك وأعلم أخاه عروج بربروس ما قرره[3].

وليبرهن السلطان عبد العزيز على صدقه في نقض المعاهدة التي كانت مع الاسبان في مدينة بجاية، شارك بنفسه على رأس جيوش كثيرة إلى جانب خير الدين في محاولته لتحرير مدينة بجاية (918هـ/1515م) [4].

وبعد انقلاب ابن القاضي على خير الدين كما ذكرنا سابقا ،لم يجد خير الدين سوى اللجوء للسلطان عبد العزيز وطلب منه التحالف(930هـ/ 1527م)، للانتقام من ابن القاضي واسترجاع

[1] -Charle ,Feraud, op, cit, P : 214.

[2] -Diego Haedo , op , cit . P : 336.

[3] – مجهول ، غزوات عروج وخير الدين، ص: 30.

[4]- Diego Haedo , op , cit,p: 356.

مدينة الجزائر فدعمه السلطان عبد العزيز بجيش كبير وتمكن من الإقاع بابن القاضي وقتل على يدى خير الدين بربروس[1]، وحين قرر خير الدين بربروس، طرد الحامية الإسبانية المتواجدة بصخرة البانيون ،ووقف إلى جانبه سلطان بني عباس، وتمكن من إفتكاكها من الإسبان في (932هـ/ 27 ماي 1529م)[2]

وبعد مرور ثلاثة أشهر على تحرير قلعة البنيون ،قام خير الدين بعقد معاهدة تحالف مع سلطان قلعة بني عباس في(932هـ/ سبتمبر 1529م)، وفي سنة (927هـ/ 1534) شنّ خير الدين بربروس حملة على تونس من اجل ضمها للخلافة العثمانية، وقد فشلت هذه الحملة ،وبعدها غادر خير الدين بربروس الجزائر إلى اسطنبول(937هـ/ 1545) ،بدعوة من السلطان العثماني للإشراف على قيادة الأسطول برتبة قابودان باشا[3] وخلفه حسن باشا الذي تصدى لحملة شارل الخامس على مدينة الجزائر (944هـ/ 1541)[4] ،بمشاركة عبد العزيز سلطان قلعة بني عباس بحكم معاهدة التحالف التي أبرمها مع خير الدين بربروس.

وبعد وفاة حسن آغا سنة (949هـ/1544م)خلفه في حكم إيالة الجزائر حسن باشا بن خير الدين ،الذي استمر في التحالف مع السلطان بني عباس وذلك من خلال مشاركة السلطان عبد العزيز إلى جانب قائد الجيش حسان قورصو للقضاء على سلطان فاس مولاي محمد المهدي ،بسبب قيامه بالاستيلاء على تلمسان ، هذه الحملة سمحت للعثمانيين لتعرف على قدرات جيش عبد العزيز وكفائته في القتال، فبدأ تخوفهم وغيرتهم منه، وأحسوا أنه سيوجه هذه القوة ضدهم يوما ما وأصبح حسن باشا يخشى تزايد قوة ونفوذ السلطان عبد العزيز، ففكر حسن باشا ابن خير الدين في التخلص منه لكن تم استدعائه من طرف السلطان العثماني إلى اسطنبول في عام(957هـ 1555م).

---

[1]- مجهول ، غزوات عروج وخير الدين، ص: 45.

[2]- فوزية لزغم، المرجع السابق،472.

[3]- يوسف بنوجيت، قلعة بني عباس إبان القرن 16، ص: 139.

[4]- بن عودة مزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19، تح ،يحي بوعزيز، بيروت: (ط1) 1990م، ج1، ص: 220.

بعد مغادرة حسن باشا الجزائر إلى اسطنبول خلفه في الحكم صالح رايس (758-762 هـ/ 1552 -1556)، وفيه كان هذا الأخير يدرك جيدا مكانة وقوة السلطان عبد العزيز وأهمية استمرار العلاقات الحسنة بينه وبين العثمانيين، وفي بداية شهر أكتوبر955(هـ/ 1552م)قام صالح رايس بطلب المساعدة من السلطان عبد العزيز[1] للقضاء على تمرد شيوخ تقرت، ورقلة، واد سوف والأغواط[2]، فاستجاب عبد العزيز لطلبه وخرج بنفسه على رأس جيش يتألف من 1600 فارس ،و180 عامل بندقية من المشاة،.إن مشاركة السلطان عبد العزيز في هذه الحملة وبهذه القوة إلى جانب صالح رايس أثارت تخوف هذا الأخير من سلطان بني عباس لذلك عزم على التخلص منه.

وقبل القيام بحملة الجنوب اتفق السلطان عبد العزيز مع البايلرباي صالح رايس حول تقسيم الغنائم التي غنموه من تلك الحملة، إلا أن صالح رايس لم يلتزم بالاتفاق ،وهذا أحد أسباب عودة الخلاف بين الطرفين ،ولا نستبعد أن سوء العلاقة بين صالح رايس والسلطان عبد العزيز كان بمؤامرة من حسان قورصو، الذي لم ينسى خلافه مع عبد العزيز سلطان بني عباس في الحملة التي قادها ضد المغرب كما أشرنا سابقا.

فلا بد أن له يد في دفع البايلرباي إلى السعي للتخلص من سلطان بني عباس وهو في قبضته بقصره الجنينة، لإدراكه استحالة القضاء عليه في منطقته (أي قلعةبني عباس)، لكنه لم يتمكن من قتله لأنه تمكن من الفرار[3] وفي(955هـ/ 1552م) خرج صالح رايس بنفسه مع جيش كبير للقضاء على السلطان عبد العزيز الذي كان ينتظره في منحدر جبل بوني[4]، وجرت المعركة وألحق السلطان عبد العزيز مع جيشه خسائر كبيرة في صفوف الجيش العثماني، وانتهت بانسحاب صالح رايس دون أن يتمكن من إخضاع بني عباس.

---

[1]- مرمول، المصدر السابق، ص: 225.

[2]- نصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، بيروت: دار الغرب الاسلامي، 2000م، ص: 104.

3- مرمول كربخال، المرجع السابق، ص: 226.

4- المصدر نفسه، ص: 426.

وفي(956هـ/ 1553 م)أمر صالح رايس بتجهيز حملة ثانية ضد بني عباس ،واسند قيادتها إلى ابنه محمد الذي خرج على رأس جيش كبير لمهاجمة السلطان عبد العزيز ولكن عبد العزيز لم يكن على غفلة من أمره، حيث وضع له خطة محكمة وفاجئهم بالهجوم وألحق بهم الهزيمة[1].

وفي(760هـ/ 1554م) أرسل صالح رايس حملة على السلطان عبد العزيز واختار لقيادتها العلجين، سنان رايس ورمضان رايس، وهما من أحسن قادته في الجيش، فأراد مباغتة عبد العزيز، غير طريقها إلى قلعة بني عباس الحصينة بإتباع طريق الجنوب عبر المسيلة لتجنب المواجهة مع القبائل التابعة للسلطان عبد العزيز وتأديب القبائل المستعصية عن دفع الضرائب والتابعة للسلطة العثمانية، وعندما علم السلطان عبد العزيز بقدوم الجيش العثماني ووقعت المعركة بوادي اللحم قرب المسيلة حيث أنزل السلطان عبد العزيز هزيمة نكراء ولم ينجوا من جيشهم إلا القائدين سنان رايس اللذان تمكنا من الفرار.

وفي عام (958هـ 1555م)نظم صالح رايس حملة على مدينة بجاية وقام بتوجيه نداء ا لجهاد إلى كافة القبائل فكان سلطان بني عباس ممن لبوا النداء[2]، وتمكنوا من تحرير بجاية في جوان 1555م، وبعد وفاة صالح رايس (960هـ/ 1557م) ومجيء حسن باشا الذي حكم إيالة الجزائر من(960-970هـ/ 1557-1567م) أو في غضون سنة سويت العلاقات بينه وبين بني عباس احتراما للمعاهدة(932هـ/ 1529م).

قام السلطان عبد العزيز بإرسال هدايا ثمينة إلى مدينة الجزائر ،من أجل الترحيب بالبايلرباي حسن باشا، وقد ماثله حسن باشا بهدايا مماثلة وسمح له باستخلاص الضرائب في منطقة المسيلة، والاستفادة من المدافع الثلاثة التي تركها صالح رايس بنفس المنطقة أثناء حملته في منطقة الجنوب[3]، ولم يلبث هذا التحالف أن عاد الخلاف بسب قيام السلطان عبد العزيز بالإغارة على مناطق خاضعة لسلطة العثمانية.

---

[1] -lous rinn , le Royaumé d' Alger sous le darnier Dey , in Ra , n° 43,1898 .p :13 .

[2]- علي خلاصي، القلاع والحصون، ص: 120.

[3]- المرجع نفسه، ص: 166.

أثار ذلك غضب الباشا وأمر بتجهيز قوة عسكرية قادها بنفسه عام (961هـ/ 1558م) بهدف تشييد حصن برج مجانة ، لأن السكان رفضوا دفع الجزية في حالة ما إذا لم يخلف بهم حامية تدفع عنهم هجومات عبد العزيز، وبعد إتمام هذا الحصن الذي ترك به حامية عسكرية توجه عائدا إلى الجزائر لم يكد حسن باشا أن يصل إلى الجزائر وصلته أخبار أن عبد العزيز دمر الحامية واستولى على مدافعها.

وفي سنة(962هـ/ 1559م)خرج حسن باشا في حملة[1] لإخضاع السلطان عبد العزيز فسار عن طريق السهوب الجنوبية واستولى على المسيلة، وفي نفس السنة خاض عدة معارك وفي إحداهما قتل السلطان عبد العزيز وخلفه أحمد أمقران[2].

1-قلعة بني عباس بيد أحمد أمقران:

بعد أن تولى أحمد أمقران حكم قلعة بني عباس سنة (962هـ/ 1559 م)، أبرم حسن باشا معاهدة معه وانسحب إلى مدينة الجزائر وهذه المعاهدة تعفي بني عباس من الجزية ، وفي هذا الوقت كان حسن باشا قد تحالف مع ملك كوكو وتزوج من ابنته،وخلال العهدة الثالثة لحسن ابن خير الدين من (965-970هـ/ 1562-1567م)،طبع الهدوء العلاقات بين السلطة وبني عباس والتزم الطرفان بمعاهدة(962هـ/ 1559م)التي أبرمها حسن باشا مع أحمد أمقران، وشارك بنو عباس في الحملة التي قادها حسن باشا في فيفري 1563م ضد الاسبان بوهران ، دون مشاركة أحمد أمقران في الحملة.

وعندما تم تعيين العلج علي على رأس إيالة الجزائر في مارس 1568م تغيرت العلاقة بين بني عباس والسلطة العثمانية ،واستمر التوتر طيلة فترة حكم علج علي التي تمتد إلى ستة أعوام، وستشهد فترة حكمه نهاية الدولة الحفصية، إذ توجه إليه سكان تونس مبدين رغبتهم في التخلص من ملكهم، فتوجه إلى تونس بحملة من الجزائر[3] و دعمه أحمد أمقران بقيادة الجيش بنفسه لإخضاع

[1]- فوزية لزغم ، المرجع السابق، ص: 474.

[2]- مزيان وشن، مجانة عاصمة المقرانيين، الجزائر: دار الكتاب العربي، 2007م، ص،ص: 107،108 .

[3]- فوزية لزغم، المرجع السابق ، ص:475 .

تونس(973هـ/ 1570م)وساعده أيضا في الحملة الثانية عام (977هـ/ 1574م)وانتهت بإخضاع تونس للعثمانيين.

وفي 16 سبتمبر 1580م أرسل هدايا ثمينة لجعفر باشا بمناسبة تعيينه على رأس الإيالة كرمز لتجديد علاقة السلم والصداقة[1] غير أن هذه العلاقة لم تستمر في عهد خضر باشا (990-994هـ/ 1589-1592م) ،بسبب امتناع أحمد أمقران عن دفع الضريبة السنوية الذي اعتبرته السلطة العثمانية تمرد ، وفي عام (994هـ/ 1592م) وقعت أيضا مواجهات في عهد شعبان باشا الذي حاول إخضاع زعيم بني عباس، وظل أحمد أمقران يرفض الخضوع للعثمانيين، إلى أن تمكنوا من اغتياله في إحدى المواجهات.

بعد مقتل أحمد أمقران على يد العثمانيين خلفه ابنه سي الناصر [2] عام(1002هـ/ 1600م) وقام هذا الخير بتصريح عدد كبير من الجيش ،وهذا أثار غضب وسخط كبار قادة الجيش،كما أنه كان منشغلا دائما بإحاطة العلماء حوله في الزوايا، ورغم الشكاوي التي كانت تتهاطل عليه من سكان الإمارة إلا أنه لم يهتم بذلك، فهذه السياسة التي اتبعها سي الناصر في حكمه للإمارة تسببت في مقتله، واغتيل في إشتباك وقع سنة(1026هـ/ 1624)، ويذكر الورثلاني بأن سي الناصر قتل يد سكان القلعة من حي أولاد حمدوش[3].

بعد الحملة الاسبانية على مدينة بجاية(913هـ/1510م)، عزم سكانها على المقاومة، إلا أنهم لم يتمكنوا من إخراج الاسبان من مدينة بجاية،لذلك قاموا بالاستنجاد بالإخوة بربروس اللذين لبّوا نداء النجدة، وحاولوا تحريرها(915هـ/ 1512م)، لكنهم فشلوا في ذلك ،وأعادوا الكرة في917هـ/ 1514م ولم يوفقوا من إخراج الاسبان منها،وذلك لعدة أسباب منها التحصينات الجيدة التى أقامها الإسبان في مدينة بجاية ؛عدم مساعدة السلطان

[1]- فوزية لزغم، المرجع السابق، ص:475.

[2]- سي الناصر: هو ابن السلطان أحمد أمقران كان رجل دين والصوف، حافظ للقرآن الكريم ، نشأ في الزاوية التي أسسها جده عبد الرحمان بالقلعة وكان يجمع حوله المالموردين والطلبة ولم يكن يتدخل في شؤون الحكم والسياسة ولم يشارك والده في غزواته : ينظر: Charles .Feraud. op. cit. P : 235

[3]- الورتلاني، المصدر السابق، ص:8.

الحفصي لهم،وبقيت مدينة بجاية في يدى الإسبان، إلى حين قدوم صالح رايس955هـ/ 1552م ، الذي تمكن من تحريرها نهائيا في958هـ/ 1555م بمساعدة سلطان بي عباس.

لعبت الإمارتين كوكو وبني عباس أدوارا سياسية مهمة وبقيت لفترة طويلة من الزمن، فإمارة كوكو منذ الوهلة الأولى لقدوم الإخوة بربروس لمدينة بجاية915هـ/ 1512 تحالفت معهم ،واستمر ذلك التحالف مع العثمانيين إلى غاية زوالها مع أنه يتخللها بعض الانقلابات (كانقلاب أحمد ابن القاضي على خير الدين) كما أن سلاطينها حافظوا على إستقلالهم عن إيالة الجزائر، أما إمارة بني عباس كانت أيضا مستقلة عن الحكم العثماني بالجزائر، إلا أنها تحالفت معهم لمرات كثيرة كما حدث ذلك سنة 932 هـ/ 1529م وتمثل هذا التحلف في المعاهدة التي أبرمت بين السلطان عبد العزيز و خير الدين بربروس، وهذه التحالفات كانت بمصالح مشتركة وبقيت هكذا إلى غاية عام1035هـ/ 1635م حينا تم تغيير مقرها وانتقالها إلى مجانة.

بعد مقتل أحمد أمقران 1600م خلفه أخوه سي الناصر الذي أهمل الجانب السياسي، وقام بتسريح عدد من جيشه فأدى ذلك إلى الفوضى، وظهور اضطرابات إلى أن قتل سنة (1026هـ/1624م) وترك أبنائه الثلاثة ،بعد فترة قام ابنه سي بتقى بإحياء ما قام به أجداده ، وغير مقر الحكم من قلعة بني عباس إلى مشيخة مجانة، وظلت هذه المشيخة قوية إلى منتصف القرن18 م.

- المبحث الأول: تأسيس مشيخة مجانة.

ترك الشيخ سي الناصر عند مقتله(1129هـ/ 1624م) ثلاثة أبناء وهم بتقى أو أبو بتقى أخذته قبيلة الحشم ،التي ضلت وفية لأولاد مقران حتى نهاية ملكهم في سرية تامة إلى مجانة[1]، وتكفلت بتربيته وتدريبه على شؤون الحكم، والثاني يدعى محمد[2] ،أخذته أمه معها ولجأت إلى بجايةاستقرت عند أهلها ، أما الثالث يدعى بوتمزرين وانتقل من مدينة بجاية إلى الغرب واستقر بمعسكر[3].

عندما كبر سي بتقى بسلطان مجانة على يد قبيلة الحشم، بعيدا عن أعين بني عباس تسلم قيادة الأسرة حوالي عام(1037هـ/ 1635م) وذلك بمساعدة قبيلة الحشم،[4] وساعدته على

---

[1]- مجانة : تقع مجانة شمال عاصمة الولاية برج بوعريريج على بعد 11كلم تحتل موقع استراتيجي يربط بين المناطق الجبلية شمالا وسهول مجانة شمالا وسهول مجانة الشهيرة إلى مدينة برج بوعريريج جنوبا. ينظر: مزيان وشن، المرجع السابق، ص: 23.

[2]- محمد سي الناصر: انتقل إلى بجاية أخذته أمه إلى قرية أمدان التابعة لقبيلة بني مسعود، تابع هناك تعليمه في إحدى الزوايا و أصبح من مشاهير المرابطين في المنطقة وقام بتأسيس زاوية أمدان واشتهر باسم سي محمد أمقران وقد تقرب منه قائد الحامية التركية ببجاية واستغل العثمانيين مكانتهم وتأثيرهم في سكان المنطقة .ينظر:

Charle , féraud, Explotaion des Forets de la K rasta dans Kabylie orienta l sous la domination tuque in , R . A , 1868 , P : 383.

[3] -charles .Feraud, conquet de bougie, p : 240 .

[4]-الحشم:هم فرقة ظهرة في تهرت منذ عهد الإمام عبد الرحمان ،فكانت حشمة، وكانت جزء من جند السلطان و تشتهر باسم هاشم أيضا.ينظر:جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية في المغرب الأوسط خلال القرنيين الثالث والرابع للهجري (9-10هـ)،الجزائر: دار المطبوعات الجامعية، د ت،ص:274.

الارتباط بأكبر قبائل المنطقة آنذاك ،من خلال تزوجيه من ابنة شيخ قبيلة أولاد ماضي بالجنوب الجزائري(الأغواط)، وأول ما قام به سي بتقى هو رفضه أن يلقب بالسلطان أو الأمير، وفضل الشيخ معلنا عن قيامة مشيخة أولاد مقران وقرر الاستقرار بمجانة وعدم العودة إلى قلعة بني العباس.[1]

بعد أن إستقر سي بتقى بمجانة وأحاط نفسه بأفراد أسرته المتبقين، ومد حدود المشيخة حتى منطقة الحضنة أولاد نايل جنوبا ، بدأ بمطارة سكان قلعة من حي أولاد حمدوش، الذين قتلوا والده غدرا فتمكن من هزيمتهم،واعلنوا خضوعهم له، وطلبوا السماح منه والعودة إلى ديارهم بقلعة بني عباس، لكنه رفض مسامحتهم ورفض العودة إلى القلعة[2] .

لقد ظل أولاد مقران يحافظون على سيادتهم ،واستقلالهم عن الحكم العثماني في ظل حكم إمارة بني عباس ،كما أن الحكام العثمانيين سعوا لتحسين علاقاتهم بسلاطين الإمارة، فكيف ستكون علاقة آل مقران بالعثمانيين في مشيخة مجانة؟

لم تكن علاقة أولاد مقران شيوخ مجانة بالحكام العثمانيين علاقة حرب وصراع دائم ،كما لم تكن علاقة سلم وتعاون مستمر، فقد كان يسودها السلم عندما يحترم العثمانيين استقلال الأسرة وسيادتها ،وإذا حاول العثمانيين العبور بمنطقة البيبان دون دفع ضريبة " العسة" باستخدام القوة ينشب الصراع بينهم.

لم تكن أسرة أولاد مقران بمعزل عن الأحداث التي كانت تعرفها إيالة الجزائر خلال القرن الحادي عشر للهجري(17م) فقد سجل أولاد مقران مشاركتهم في ثورة ابن الصخري[3] ضد العثمانيين في عام (1040هـ/ 1638م)،لقي فيلقان عثمانيين حتفهما على يد قبائل وادي الساحل

---

[1] -Lous Rinn, op, cit, p : 13 .

[2] -Charle Feraud, conquet de bougie, p :241 .

[3]- محمد بن صالح العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بايلك قسنطينة ، واستيلائهم على أوطانهم أو تاريخ قسنطينة، تق يحي بوعزيز، الجزائر : دار هومة، 2007، ص: 50.

بقيادة خالد المقراني بن الشيخ بتقى، وتمكن من هزيمة الجيش العثماني في موقعة فجال جنوب سطيف قتل فيها نعمان باي.[1]

كما أن أولاد مقران تحالفوا مع قبيلة الحنانشة وقبيلة الدواودة اللذين طلبوا من سي بتقى المساعدة في ثورتهم على العثمانيين (1041هـ/ 1639م) وما دفع سي بتقى إلى التحالف معهم علاقة المساهرة التي بين أولاد مقران وشيوخ الدواودة في هذه الثورة، فقد زوج شيخ العرب بن علي بوعكاز إحدى بناته لأحد شيوخ أولاد مقران [2] .

وتحسنت علاقة أولاد مقران بالعثمانين بمجيء يوسف باشا[3] إلى حكم الإيالة بين عامي(1042-1044هـ/ 1640-1642م)، لأن هذا الحاكم أدرك مزايا ربط علاقات ودية مع الأسر الكبيرة، وقام بنفسه بجولة في بايلك قسنطينة والتقى بشيخ مجانة سي بتقى ،وتقرب منه واعترف له بالامتيازات التي كانت تتمتع بها الأسرة من قبل ،غير أن ذلك السلم لم يدم فلم ينسى العثمانيين تحالف أولاد مقران مع ابن الصخري.

وفي(1045هـ/ 1634م) خرج مراد باي إلى قسنطينة بأمر من الباشا الذي دعمه بجيش كبير بقتال أولاد مقران بمنطقة مجانة بسبب رفضهم دفع الضريبة السنوية[4] ، وانهزم العثمانيون أمام جيش سي بتقى الذي رفض الصلح معهم إلا بموافقته على شروط تتمثل في إعفاء المشيخة من دفع الضريبة وضمان حرية التجارة بأسواق مدينة الجزائر[4] ،وبعد هذه المواجهة قام شيخ مجانة سي بتقى

---

[1] -Lous Rinn, op, cit, p : 13

[2]- محمد خير الدين، مذكرات الشيخ محمد خير الدين، الجزائر: مطبعة دحلب ، 1985، ج1، ص: 46.

[3]- يوسف باشا، تولى يوسف باشا المسمى سر هواش في 1640-1642 حكم الإيالة وأخضع محمد بن علي شيخ الدواودة 1642، وعزل عن الحكم بسبب تأخره عن دفع مرتبات الجند، ينظر: ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ بشوات الجزائر وعلمائها، تح فارس كعوان، الجزائر:الحكمة،(ط1)، 2009، ص: 52.

[4]- محمد بن صالح العنتري، المرجع السابق، ص: 53.

بتأديب قبائل الجهة اليسرى لوادي الصومام ،بسبب امتناعهم عن دفع الضريبة إلى المشيخة، ورفضهم الاعتراف بسلطتهم.

وفي نهاية حكمه فضل الاستقرار في زاوية أسسها بنفسه في مجانة للتفرغ للعبادة، وطلب العلم والاقتداء بوالده سي ناصر، تاركا حكم المشيخة لابنه البكر المسمى بوزيد، والذي حكم أثناء حياة والده وبعد وفاته(1083هـ/ 1680م)[1] .

ويبدو أن علاقة سي بوزيد الحاكم الجديد للمشيخة للسلطة العثمانية لم تكن جيدة حيث كان حريصا على استقلال وسيادة المشيخة وتمسك بضريبة العبور التي فرضها أجدادهم على العثمانيين أثناء عبورهم مضيق البيبان.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن العثمانيين يدفعون الترضيات إلى شيوخ أولاد مقران في شكل عدد من الأبقار، والأغنام والهدايا الثمينة ،ليضمنوا حمايتهم عند عبورهم المنطقة التي اعتاد السكان قطع الطريق بها على المحلة العثمانية،[2] وكان سي بوزيد يحكم مناطق شاسعة حيث كانت المحلة القادمة من الجزائر إلى قسنطينة تمر عبر مضيق البيبان ،وكانوا يخافون سي بوزيد حتى أنهم عند وصول المحلة سالمة لبايلك قسنطينة يطلقون عدة طلقات بمدافعهم تعبيرا عن فرحتهم.[3]

نجح العثمانيون في فرض سلطتهم على الريف الجزائري من خلال تدعيم سلطتين السلطة الروحية[4] وتتمثل في لجوئهم لأهل الصلاح والخير وأهل الطرق الصوفية والسلطة الدنيوية، وتتمثل في شيوخ وقبائل وقوات العشائر اللذين كانوا يمدونهم بالسيف والبرنس ويضيفون إلى ذلك بعض

---

[1] -Lous Rinn, op, cit, p :15.

[2]- فلة القشاعي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771- 1837م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، الجزائر2، الجزائر، 1989-1990، ص: 130.

[3]- المرجع نفسه، ص: 141.

[4]- رشيدة شدري معمري، العلماء والسلطة العثمانية فترة الدايات 1671-1830، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامع الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، 2005- 2006، ص: 29.

الحاميات العسكرية لتتدخل في الوقت المناسب لتأديب الناقمين عليهم وتخويف الباقين من السكان[1].

وكان التحالف والتعاون العسكري من بين المظاهر التي طبعت العلاقات الحسنة بين شيوخ أولاد مقران حكام مجانة، والحكام العثمانيين وبالرغم من أن أولاد مقران كانوا يتمتعون بالاستقلال عن الحكم العثماني، إلا أنهم لم يكونوا من رجال المخزن لكنهم كانوا من القوات التي دافعة بقوة عن مدينة جيجل عندما تعرضت لحملة عسكرية(1066هـ/ 1664م) [2].

وحاول العثمانين عبور ممر البيبان في عهد سي بوزيد مرتين متتاليتين دون دفع ضريبة العبور، لكنه تمكن من التصدي لهم وإرغامهم على الاعتراف بسيادته على تلك المنطقة وتعهد لهم بأن يدفعوا ضريبة سنوية ويرسلوا برنوس الاعتراف والتولية كل سنة مع هدايا معتبرة، وفي مقابل ذلك يسهر شيخ أولاد مقران على حماية عساكرهم أثناء عبورهم المنطقة، واستمر العثمانيين في دفع تلك الضريبة حتى نهاية حكمهم في الجزائر[3]. وأصبح الشيخ سي بوزيد مجبرا على مرافقة الجيش العثماني مع فرقة من خيالة قبيلة الحشم، في منطقة سيدي مبارك شرقا و أقام مراكز للحراسة على طول ممر البيبان خوفا من تعرض قطاع الطرق واللصوص وقبائل المنطقة للعثمانيين[4].

وكان العثمانيون من حين إلى آخر يمرون إلى جانب مشيخة مجانة دون دفع الضريبة لكن الشيخ سي بوزيد كان يقف لهم بالمرصاد ويتصدى لهم ويرغمهم على دفع الضريبة[5]، والعثمانيون لم

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500- 1830، بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1998، ج1، ص:151.

[2]- أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، ص، ص: 44،45.

[3] -Lous Rinn, op, cit, p :13.

[4] -charles .Feraud, conquet de bougie, p:247 .

[5]- فلة القشاعي، المرجع السابق، ص: 63.

تكن تشغلهم القيمة المادية للضريبة بقدر ما تشغلهم القيمة المعنوية ، ذلك أن الضريبة رمز الولاء والطاعة[1].

1- المبحث الثاني: العوامل الاقتصادية كعامل أساسي في قوة مشيخة مجانة:

لقد استطاعت أسرة أولاد مقران الجمع بين النفوذ الديني من خلال حكم الأسرة انطلاق من قلعة بني عباس في البداية، ثم مشيخة مجانة فيما بعد والنفوذ السياسي ، فقد لعبت دورا رئيسيا في المنطقة حيث كانت تتحكم فيها طيلة العهد العثماني وامتدت شرقا وجنوبا، ، وقد استمدت أسرة أولاد مقران قوتها ونفوذها من المقوم الديني والسياسي والعسكري ،بالإضافة إلى المقوم الاقتصادي الذي يبقى العنصر الأساسي في قيام هذه الإمارة وبقائها لمدة طويلة فقد كانت ممن اعتنى بالتجارة والصناعة والزراعة[2].

1- التجارة:

تعتبر التجارة النشاط الاقتصادي الغالب الذي كان يمارسه سكان سلطنة بني عباس، إذ لعب موقع القلعة الاستراتيجي دوره في ازدهار التجارة ورواجها في القلعة، فموقعها الحصين في آعالي الجبال وفي نقطة عبور والتقاء السكان جعل منها همزة وصل بين المناطق التلية ومنطقة الهضاب العليا، ففي عهد الإمارة بقلعة بني العباس كان اقتصاد الأسرة يرتكز أساسا على النشاط التجاري بحكم طبيعة المنطقة الجبلية وصعوبة التضاريس وقلة الأراضي الزراعية، ومنذ تأسيس القلعة مطلع القرن السادس عشر 16م، وفد عدد كبير من السكان من مختلف المناطق طلبا للأمن والاستقرار والتبادل التجاري

[1] -كيسة بولجينت،المرجع السابق،ص:45.

[2] -كيسة بولجينت، المرجع نفسه، ص: 56 ; يحي بوعزيز المرجع السابق، ص: 168; زين الدين قاسمي، قيادة سباو، ص،ص: 26،27.

الحر مما ساعد على رواج التجارة، فقد كانت الإمارة نقطة التقاء التجار علاوة على المنتجات المختلفة التي كان ينتجها السكان محليا[1].

كما أن سلاطين دولة بني عباس أولو اهتماما كبيرا للنشاط التجاري، الذي كانت تعتمد عليه الإمارة في إقتئادها بالدرجة الأولى فيذكر فيرو "Féraud" أن السلطان أحمد أمقران قام ببناء مستودعات ضخمة لتخزين البضائع التي كان السكان يأتون لشرائها من كل النواحي، وبنى القرى وشق الطرقات لتبادل التجاري كما كان سلاطين الإمارة حرصين على تحقيق الآن والاستقرار بالمنطقة من خلال مراقبة الأسواق وحراستها من اللصوص وقطاع الطرق[2] ومما زاد من ازدهار التجارة ظهور بعض الصناعات الجديدة التي عرفها سكان القلعة مع مجيء الأندلسيين كصناعة الحلي والمجوهرات وصناعة الأسلحة النارية وبعض الأسلحة الحديدية كالسيوف والدروع والمتاريس وصناعة البارود وكانت تصدر للمناطق المجاورة وتعود على أصحابها بأرباح طائلة[3].

لقد كانت للأسواق الأسبوعية أهمية كبيرة، بالإضافة إلى أنها سوق تجارية فهي كذلك ملتقى لمختلف الفئات الاجتماعية من علماء وشيوخ وقياد ومرابطين وطلاب علم، وذلك الاختلاط والاحتكاك يؤدي إلى تبادل الأفكار وبالتالي التطور الاجتماعي والثقافي للسكان، وأدركت السلطة العثمانية أهمية و خطورة الأسواق الأسبوعية فكانت تبث جواسيسها يتجسسون الأخبار، و تأخذ من السكان الممتنعين عن دفع الضريبة ما عليهم من ضرائب في السوق فوجدت السلطة العثمانية السبيل لتعويض تلك الضرائب التي كانوا يمتنعون عن دفعها[4] وأسواق منطقة بني عباس هي أهم الأسواق التي يقصدها السكان من كل قبائل المنطقة ويعود ذلك لتنوع السلع، والموقع الاستراتيجي

[1]- زين الدين قاسمي، قيادة سباو، ص: 27 ; محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الجزائر: (ط2)، 1984، ص:66.

[2] -charles .Feraud, conquet de bougie,: p 232.

[3]- عبد الكريم محمود غرايبة، تاريخ العرب الحديث، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 1984، ص: 41.

[4]- محمد سي يوسف، مقاومة منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي(ثورة بوغلة) تيزي وزو : دار الأمل، 2000، ص: 19.

والأمن والاستقرار الذي كان يوفره الحكام في الإمارة للمتسوقين خاصة الأجانب وهو ما لم يجدوه في مناطق أخرى التي يعاني فيها التجار من اللصوص[1]

رغم انتقال أولاد مقران من قلعة بني عباس إلى مجانة إلا أن ذلك لم ينقص من نفوذها الاقتصادي، ومن أهم المنتوجات التي كانت تصدرها إمارة بني عباس ومشيخة مجانة إلى الأسواق الأخرى البرانس والحياك والقشابية والشواش والطرابيش والقندورة والأغطية والأفرشة والسجاد والحصير، والأسلحة النارية والبيضاء[2] والعسل والزيت والزيتون والشموع والوسائل المستخدمة في النشاط الفلاحي ، والقمح والشعير، الصوف والجلود والأواني الفخارية والأدوات الخشبية والقرميد وحجارة وغيرها [3].

2- الصناعة:

تعد الصناعة هي الأخرى نشاط اقتصادي مهم لأسرة أولاد مقران في قلعة بني عباس بعد النشاط التجاري، فالصناعة ببني عباس موجهة للاستهلاك المحلي في بداية الأمر ونظرا للجودة التي كانت تتميز بها منتوجاتهم الصناعية ورواجها في أسواق المنطقة وازدياد الطلب عليها، فان تصدير تلك المنتوجات أصبح حافزا قويا جعل الصناع والتجار يعملون جاهدين على تسويق تلك المنتوجات إلى المناطق الأخرى، فقد امتزت الصناعة بالجودة والإتقان وأشهر السلع وأكثرها رواجا في أسواق البرانس والبنادق والشواش[4]، وصناعة الأسلحة النارية تعد من أهم الصناعات التي اشتهرت بها المنطقة ،ولا شك بأن وفرة المواد الأولية بمنطقة بني عباس ساعد السكان على القيام بهذه الصناعة،

[1]- زين الدين قاسمي، المرجع السابق، ص: 29.

[2]- مزيان وشن، المرجع السابق، ص، ص: 91، 93.

[3]- زين الدين قاسمي، المرجع السابق، ص: 27 ؛ مزيان وشن، المرجع السابق، ص: 91.

[4]- العيد مسعود، المجتمع الجزائري في العهد العثماني، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة، ص: 10.

حيث توجد معادن كالحديد والكحل والفضة ويصنعون مختلف الأسلحة[1]، وكان السكان يعرفون طريقة استخراج معدن الحديد ومعادن أخرى كالملح والبارود المتواجد بمنطقتهم وتصنيعها تصنيعا محليا[2].

ومن الأسلحة النارية التي كانوا يقومون بتصنيعها المدافع، فقد عثر الفرنسيون عند احتلالهم القلعة على مدافع حديدية تعد من أقدم المدافع في الجزائر، ويعود تاريخ صنعها إلى القرن الثالث عشر ويحمل كتابة عليها اسم السلطان محمد عبد العزيز العباسي[3]، ويتم الكشف عن المعادن بطرق تقليدية بسيطة تكشف عن وجود ملح البارود يتم ب ثلاث طرق:

1/ طريقة الكشف بالوتد: تتم بغرز وتد خشبي بالأرض المشكوك فيها بوجود الملح بمقدار شبر، ثم يستخرج ويضع بدلا منه وتد حديدي محمى من الاحمرار ويسد عليه بالتراب حتى يبرد ثم يستخرج فإن وجد لون الحديد لا وجود للملح وإن وجد لون الوتد أبيض يوجد الملح[4].

2/ طرقة الكشف بالنار: تتم بنشر حفنة من النار في المكان المشكوك فيه على نار مشتعلة فإذا أحدثت شرارة دليل علة وجود الملح.

3/ أما الطريقة الثالثة تتم بتنشق التراب فإذا شم الإنسان باللدغ والحرارة فإن الملح موجود.

وكان السكان أيضا يصنعون الأواني المنزلية من الخشب والفخار، وفي هذه الحرفة رجال ونساء متساوين، بالإضافة إلى صناعة الأحذية والأحزمة الجلدية ووسائل الغزل والنسيج ووسائل البناء[1].

---

[1]- وليم شلر، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1818- 1824. تق وتر إسماعيل العربي، الجزائر: 1982، ص: 114.

[2]- وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تر عبد القادر زبايدية، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980،ص: 118 ; مزيان وشن، المرجع السابق، ص: 93.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، معهد التاريخ، الجزائر، 1989-1990، ص: 81.

[4]- المرجع السابق، ص: 85.

إن الصناعة في قلعة بني عباس ومجانة تحت حكم أولاد مقران كانت مزدهرة ولقيت العناية والاهتمام وكانت منتجاتها رغم بساطتها تتميز بالإتقان والجمال مما جعلها رائجة في الأسواق، ولا شك في ذلك ساهم في تنشيط التجارة والزراعة في المنطقة.

3- الزراعة:

لقد اختلف الوضع الاقتصادي لأولاد مقران من قلعة بني عباس إلى مجانة فالموقع الجغرافي والتضاريس المختلفة بين المنطقتين أثر على النشاط الزراعي للسكان، فقد تميزت منطقة بني عباس بالتضاريس الصعبة ذات طابع جبلي جعل الأراضي الزراعية قليلة جذا وبالرغم من ذلك فإن السكان كانوا يستغلون الأراضي على قلتها، وأما بالنسبة لمجانة فهي عبارة عن سهل فسيح، أراضيه خصبة لذا كان سكانها يعتمدون على زراعة وإنتاج الحبوب بكثرة، ويقومون كذلك بتربية المواشي ويمكنا القول أن قلعة بني عباس كانوا يعتمدون على النشاط التجاري في اقتصادها وبمجانة يعتمدون على الزراعة والتجارة معا[2].

اشتهرت مجانة بزراعة الزيتون وأشجار التين اللذان كانا يشكلان الغذاء الأساسي للسكان ومصدر هام في التبادل التجاري والتصدير بالإضافة إلى الإنتاج الوفير للقمح والحبوب حيث تتوفر مجانة على أخصب الأراضي المنتجة للحبوب والعسل والشموع والكروم وتربية المواشي والخيول[3] وعلاوة على هذه المنتوجات كان سكان مجانة يقومون بطحن الحبوب وذلك لتوفر الحجارة المتخصصة في منطقة مجانة[4]

[1]- العيد مسعود، المرجع السابق، ص: 10.

[2]- العيد مسعود، المرجع السابق، ص: 6.

[3]- مزيان وشن، المرجع السابق، ص-ص: 88-89.

[4]- المرجع نفسه، ص: 92.

وكانت عائلة أولاد مقران تمتلك أراضي شاسعة جعلتها من بين الأسر الأرستقراطية التي لها إمتيازات كبيرة دون غيرها من الأسر لدى العثمانيين، فقد كانت تابع لها وكانت تمتد عبر مجانة وسور الغزلان وحمزة وقبائل الحضنة، وذلك بعد أن انتشرت فروعها في الجهات الغربية والجنوبية من بايلك الشرق[1] وقد قدرت أملاكها من الأراضي عشية الاحتلال الفرنسي بنحو عشرون ألف هكتار ومد خولها السنوي مليونين فرنك، هذا ما جعلها من الأسر الميسورة الحال في بايلك الشرق الجزائري[2].

كما أن هذه المنطقة كانت تمتلك غابات شاسعة (كراسة) وبما أن الخشب يعتبر المادة الأساسية لصناعة السفن التي تشكل الأسطول العثماني بالجزائر، وسكان هذه المنطقة رفضوا الخضوع للسلطة العثمانية أدى ذلك إلى صعوبة وصول مادة الخشب إلى مدينة الجزائر، ولم يكن كل الخضب يصلح لصناعة تلك المراكب، فالطلب المتزايد كان على أشجار البلوط والصنوبر التي كانت تتميز بمتانتها وصلابتها وهي التي كانت تنتشر في غابات منطقة بجاية وجيجل[3]، ولقد اضطر الحكام العثمانيين إلى الارتباط بالشخصيات الدينية ذات التأثير الكبير والنفوذ القوي على السكان وقد اشتهر بهذه المناطق المرابط سدي محمد أمقران ابن سي ناصر ابن احمد ابن أمقران الذي اتفق معه العثمانيين على تقطيع الأشجار وإرسالها عبر البحر إلى مدينة الجزائر[4]

لقد كانت أسرة أولاد مقران تزود السلطة العثمانية بالأخشاب التي كانت تقطع من غابات جيجل وبجاية لاستخدامها في صناعة السفن، وذلك عن طريق المرابط سي محمد أمقران وأسرته التي احتفظت بذلك الامتياز من بعد وفاته[5].

---

[1]- يحي بوعزيز، الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن 19، ضمن مجلة الثقافة عدد 80، 1984، ص: 168.

[2]- فلة القشاعي، المرجع السابق، ص: 126.

[3]- مولاي بلحميسي، صناعة السفن بالجزائر أيام الأتراك (ق 16-19م) ضمن مجلة الدراسات الأثرية، العدد 3، الجزائر، 1995، ص: 52.

[4]- المرجع نفسه، ص: 53.

[5]- نصر الدين سعيدوني ،المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص: 60.

وهناك مرسوم امتياز منحها محمد باشا إلى عبد القادر بن محمد أمقران وهذا مقتطف منه :" الواثق بالردود، الحاج محمد بن محمود. الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ليعلم من يقف على هذا الأمر الكريم والخطاب الواضح والخاص الحميم من المعظمين الباي الاروكابة الفواد والعمال والخاص والعام وجميع النظري الأحوال بالناحية الشرقية أسعد الله الجميع أما بعد: فإن حامل المعظم النقية الأجل السيد المولى الأعلى التركي السيد عبد القادر ابن المرحوم الوالي الصالح القطب الناصح[1].

وامتياز أخر بمنحه مصطفى داي إلى محمد شريف بن عبد القادر بن محمد أمقران وهذا المقتطف منه... أما بعد فان حامل المكرم الوجيه البركة السيد محمد الشريف ابن المرحوم بكرم الحي القيوم المقدس المنغمس الشيخ سيدي عبد القادر بن سيدي محمد آل مقران أنعمنا عليه وقد مناه على كافة زواياه[2] واستمر تمتع أولاد مقران بهذه الامتيازات واستغلال غايات الكراسة إلى غاية الاحتلال الفرنسي[3].

لقد كان أولاد مقران سواء كان في قلعة بني عباس أو بمجانة لهم جانب اقتصادي هام جدا سواء كان ذلك في التجارة أو الصناعة والزراعة جعلهم مستقلين عن الحكم العثماني طيلة وجوده في الجزائر.

بعد أن حكم الشيخ بوزيد ابن بتقى المشيخة لمدة طولية من الزمن حوالي 54 عاما، كانت مليئة بالأحداث، واستطاع خلالها أن يفرض سيادة الأسرة في المنطقة، كما تمكن بفضل سياسته

[1] - ينظر ملحق رقم : 04.

[2] - ينظر ملحق رقم : 05.

[3] -charles .Feraud, op, cit, p : 39

الحكيمة من الحفاظ على تماسك الأسرة، وفرض على العثمانيون إستقلال المشيخة، وتوفي عام1141هـ/ 1734 [1] فهل سيحافظ أبناءه على مكانة ونفوذ الأسرة من بعده؟

– المبحث الثالث: الخلاف بين أولاد مقران وضعف إمارتهم:

بعد وفاة الشيخ سي بتقى1083هـ/ 1680م ظهرت بوادر الصراع بين أولاده، و بفضل حنكة و حسن سياسة ابنه سي بوزيد تمكن من تأجيل الصراع إلى غاية وفاته 1141هـ/1734، انفجر ذلك الصراع، و إذا كان الأجداد أولاد مقران استطاعوا الوقوف الند للند مع العثمانيين كما تمكنوا من مد نفوذهم على مناطق واسعة في بايلك الشرق مجانة وبني عباس والحضنة وأولاد نايل ومنطقة الزاب جنوبا[2] فإن أحفادهم لم يحافظو على تلك المكانة .

بعد أن توفي الشيخ سي بوزيد ترك أربعة أبناء وهم: عبد ربه وهو الابن البكر، الحاج ،وبورنان وعبد السلام، كلهم من أم واحدة الحاجة زوينة، تسلم ابنه الثاني الحاج حكم المشيخة بعد أن تنازل له عنها أخاه البكر عبد ربه، ووافق على ذلك بقية إخوته ، وكان أخاه بورنان رجل حرب يمضي معظم أوقاته في الحرب كرس حياته في مطاردة قبيلة أولاد ماضي المتمردين في الجنوب عن المشيخة وقد تمكن من إخضاعهم للمشيخة وأعلنوا استسلامهم ودفع الضريبة [3] .

ولا شك أن السلطة العثمانية بالجزائر، لم تتخذ جهدا في السعي إلى القضاء على نفوذ أولاد مقران فقد كانت سياسة فرق تسد من أساسيات حكمهم، وذلك من خلال تشجيعهم الشقاق بين شيوخ الأسرة و الحرص على استمراره بتدعيم أحد الفروع ضد الآخر، فنجحوا في استمالة عزيز

[1] -lous rinn. op.cit .p :14.

[2] – ينظر الملحق رقم 06.

[3] -charle féraud, conquète de bougie,op,cit, p :253

ابن القندوز (ابن عم الحاج ابن بوزيد شيخ مجانة) إلى صفهم ،و حملوه على التمرد والانشقاق على الأسرة، وجعلوا منه حليفا قويا يواجهون به أبناء عمومته[1].

كان أولاد مقران يناوشون الحامية العثمانية بمجانة من حين إلى لآخر، لكن انقسامهم حال دون تمكنهم من طرد العثمانيين منها ، ولكي يضمن العثمانيين سلامة و أمن المنطقة و أمن الطريق السلطاني [2] الذي يمر عبر مضيق البيبان للانتقال إلى بايلك الشرق، أبعدوا شيوخ أولاد مقران عن حكم مجانة في بداية القرن 18م ،ذلك للانتقام منهم بعد تعرض أولاد مقران إلى خليفة باي قسنطينة الحاج بكير عندما ارسله الباي إلى مدينة الجزائر لينوبه في أداء واجب الدنوش[3]،وقاموا باغتياله وإبادة كل أفراد الحامية العسكرية [4]

وفي عام1148هـ/ 1740م عزم باشا الجزائر على الانتقام من أولاد مقران بعد ما وصلته الأخبار عن تلك المجزرة التي إرتكبوها، فأرسل حملة عسكرية كبيرة لإنزال العقاب بالمذنبين، مدعمة برجال المخزن وفرقة بقيادة عزيز ابن القندوز المنشق عن الأسرة و الذي كان قد أعلن ولاءه للعثمانيين و أصبح حليفا وعونا لهم ضد أبناء عمومته، مدعما هو الآخر من قبيلة أولاد ماضي حلفاء والده، ولما وصلت القوات العثمانية إلى المنطقة خيمت بمجانة، التي تمكن العثمانيين من الإستيلاء عليها حيث انسحب شيوخ أولاد مقران إلى جبل متنان[5].

---

[1]- محمد العربي الزبيري ، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، الجزائر: الشركة الوطنية النشر والتوزيع، 1973، ص،ص : 40،41.

[2]- ينظر الملحق رقم 6.

[3]- دنوش: كلمة تركية تعني العودة، وهو مصطلح كان متداول لدى العثمانيين في حكمهم الإيالة، ذلك أن البايات يعودون للوقوف أمام الباشا بمدينة الجزائر كل ثلاث سنوات حاملين الهداية والأموال المستخلصة من أقاليم حكمهم، وكان الباشا إما بعيد تثبيت الباي أو يعزله، بنظر: خليفة إبراهيم حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798م إلى 1830م ، رسالة ماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإسكندرية 1988، ص، ص :87،88.

[4] -charle féraud .op.cit. p :254.

[5] -Louis Rinn. Op, cit .p : 15.

لقد تفرق أولاد مقران، بعد أن تمكن العثمانيين من إبعادهم عن مجانة مقر حكمهم، فالحاج بن بوزيد إحتمى بقلعة بني عباس الحصينة ولجأ بورنان إلى الونوغة، في حين إستقر عبد السلام بجبل بوندة، وكان عمهم عبد الله بن بتقى قد غادر مجانة إلى الحضنة حيث كون فرع أولاد عبد الله[1] بعد أن أخذ العثمانيين مجانة وعينوا عليها شيخين غريبين عن أسرة الشيخ ابن نور بولبانة والشيخ عيسى من قبيلة أولاد فاضل، عملا على تتبع أولاد مقران وإفشال خططهم للعودة لحكم مجانة ،وقاما بزيارة الشيخ سيدي احمد بن خليفة احد المرابطين بالمنطقة، وذلك عندما علما أن أولاد مقران كانت تربطهم بالشيخ علاقة حسنة فاتصلوا به، وتعرض هذا المرابط للإهانة على يد هذين الحاكمين[2].

ولينتقم المرابط سيدي احمد بن خليفة من الشيخين بن نور وعيسى أرسل في طلب شيوخ أولاد مقران ،وذكرهم بمجد أجدادهم وحثهم على ضرورة تناسي خلافاتهم وأحقادهم وذكر لهم أنه مامن وسيلة لاستعادة ملكهم المسلوب والتغلب على العثمانيين، إلا الإتحاد ونظرا لمكانة هذا المرابط في نفوسهم تمكن من الإصلاح بينهم وجمع كلمتهم فاتحدوا من جديد[3].

لقد نشب صراع بين الشيخين بن نور وعيسى ،ذلك أن كل منهما أراد الإنفراد بحكم مجانة، فقامالشيخ بن نور بقتل الشيخ عيسن، واستغل أولاد مقران هذا الخلاف وقاموا بالهجوم على مجانة في النصف الأول من القرن الثامن عشر(18م)،وتمكنوا من استرجاعها وهاجموا الحامية العثمانية بمجانة ،وأرسلوا بعض جنود الحامية أحياء يحملون رسالة إلى داي إيالة الجزائر يبلغونه بأن أولاد مقران يرغبون في العيش مستقلين ولا يريدون أي تدخل للعثمانيين في مشيختهم .

[1] - charle féraud . opcit .p :255.

[2] _ Ibid,p:261.

[3] -Louis Rinn , op,cit ,p :14.

بعد أن تمكن شيوخ أولاد مقران من استرجاع مجانة قامو بتحطيم بوعريريج، وقام الحاج ابن بوزيد بالزواج من أرملة الشيخ بن نور حاكم مجانة السابق، وتكفل بتربية أبنائه، وأنجبت له ابنا سماه باسمه الحاج بن بوزيد، وعاش أولاد مقران في استقرار، وتقاسمت فروع الأسرة حكم مجانة فترأس بورنان المشيخة على رأس مجانة وتسلم عبد السلام قيادة الحضنة وكانا تحت إشراف أخيهما الحاج بن بوزيد[1] ،ولكن فترة السلم التي عرفتها مجانة لم تدم طويلا فالصرع بين زعماء الأسرة ما لبث وأن عاد من جديد، فبورنان كان يخوض الحرب ضد ابن عمهم عزيز ابن القندوز المنشق عن الأسرة والمتحالف مع الأتراك وأولاد ماضي، فتسببت تلك الحرب بمنطقة الحضنة بمقتل بورنان1187هـ/ 1780 ودفن بالحضنة [3]

-إنقسام أسرة أولاد مقران إلى عدة فروع:

مارست أسرة أولاد مقران نفوذ كبيرا ومعارضة قوية للحكام العثمانيين طول فترة حكمهم للإيالة، ودخلت أسرة أولاد مقران مرحلة الضعف والإنهيار بعد وفاة الشيخ بوزيد في (1141هـ/ 1534م)، ذلك أن أفرادها دخلوا في صراع و حروب متتالية، فعندما قتل بورنان(1187 هـ/ 1780م) ترك خمسة أبناء وهم: أحمد، علي، عبد الله، بوزيد، والوانوغي، وكانوا كلهم تحت كفالة عمهم الحاج بن بوزيد ،وكان أولاد بورنان يثيرون المتاعب في المشيخة، فطردهم عمهم شيخ مجانة الحاج، وأبعدهم عنها بسبب مظالمهم وكثرة شكاوى السكان عليهم فتحولوا إلى لصوص وقطاع طرق[2].

لم يكن أولاد بورنان يقطعون الطريق و يسلبون السكان فقط ، بل كانوا يتعرضون للعثمانيين، الأمر الذي جعل عمهم الحاج بن بوزيد شيخ مجانة يرافق العثمانيين أثناء عبورهم منطقة البيبان

1 -Charle fèraud,op,cit,p :264.

2 -Ibid ,p :261.

لحمايتهم من أبناء أخيه، مدعما بفرسان الحشم، و ذلك حتى يخرجون من منطقة الخطر بسيدي مبارك قرب سطيف،ولم يتوان هؤلاء في إعلان الحرب على عمهم الحاج بن بوزيد واغتياله عام(1190هـ/ 1783م)، بقرية بوجليل قرب قلعة بني عباس و هو في طريقه إلى مجانة. [1]

بعد مقتل شيخ مجانة الحاج بن بوزيد حوالي(1190هـ/ 1783)، ترك ولدين وهما بوزيد ومحمد، إلا أن ابنه بوزيد تخلى عن حكمه سنة1191هـ/ 1784م، فخلقه بوزيد بن الحاج بن بوزيد، وقد دخل هذا الأخير مع أبناء بورنان المتحالفين مع أولاد القندوز في حروب، وقد أدت هذه الحرب إلى مقتل عمه عبد ربه آخر أبناء الشيخ سي بوزيد في(1192هـ/ 1785).[2]

وشن الشيخ بوزيد ابن الحاج حربا عنيفة ضد أبناء بورنان بمساعدة فرسان قبيلة الحشم، فتمكن من التغلب عليهم وإبعادهم عن مجانة فتفرقوا في منطقة أولاد نايل جنوبا حوالي عام(1199هـ/ 1792م) ، وبذلك تخلص بوزيد بن الحاج من أبناء عمومته ليتفرغ الشيخ العزيز بن القندوز منافسه في حكم مجانة [3].

ويبدو أن إستحواذ أولاد الشيخ الحاج على حكم مجانة وحدهم ،أثار حفيظة أولاد بورنان الذين كانوا قد إنسحبوا إلى أولاد نايل ثم وادي ميزاب حوالي النصف الثاني من القرن الثاني عشر للهجري(18م)، فتقدموا بالشكوى إلى الباي مصطفى الوزناجي،[4] في (1204هـ/ 1794م) وطلبوا منه التدخل للسماح لهم بالعودة إلى مجانة فسمح لهم بالعودة بعد أن تعهدوا له بعدم إثارة المتاعب في مشيخة مجانة[5].

---

[1] - Charle fèraud,op,cit, p:267 .

[2]-Ibid, p :266,

[3] -Ibid ,p :269.

[4] -Lous Rinn , op,cit ,p :20.

[5]- مصطفى الوزناجي: حكم هذا الباي من فيفري 1795 إلى جانفي 1798 ، ينظر : ابن المفتي، المصدر السابق، ص : 49.

وقد كان الباي مصطفى الوزناجي يهدف من وراء تدخله بلا شك إلا تحقيق التوازن بين فروع الأسرة، وذلك طبقا للسياسة التي كان العثمانيين يتبعونها اتجاه الأسرة وذلك من خلال ضرب فرع بفرع آخر معادي له، والعمل على تقويته فإذا ما أصبح قويا يشكل خطر عليهم، وانقلبوا عليه بتدعيم الفرع الضعيف، وذلك دون أي تدخل عسكري منهم لأن ذلك سيؤدي إلى إتحاد فروع الأسرة ضدهم، و بهذه السياسة كان البايات يتدخلون في شؤون المشيخة ويزيدون من حدة الصراع للقضاء على قوتها ونفوذها[1].

وقد انعكس الصراع بين فروع الأسرة سلبا على المشيخة حيث أصبحت خاضعة للعثمانيين و سهل عليهم التدخل في شؤونها من حين لآخر وطبق الباي أنجلز سياسة التفرقة وقام بتقسيم حكم مجانة من جديد بين الفروع الثلاثة، محمد بن محمد من فرع أولاد القندوز، ومحمد بن مسعود من فرع أولاد بورنان ،وبن عبد الله من فرع أولاد الحاج ،و أولاد عبد السلام، وظل الشيوخ الثلاثة يتقاسمون الحكم بمجانة لمدة تزيد عن ست سنوات.[2]

وبينما كان أولاد مقران في صراعهم من أجل حكم المشيخة، جاءهم نداء من عثمان باي قسنطينة لمساعدته في القضاء على ثروة ابن الأحراش[3] التي لم يتمكن من إخمادها فاتحدت جميع الفروع الأسرة لقتال هذا الثائر، وأعلنوا الحرب على قبائل أولاد خلوف، و أولاد دراج، وأولاد تبان

1 -charle féraud . opcit . p :269.

2 -Lous Rinn , opcit ,p :15.

3- ثورة ابن الأحراش : مغربي مالكي المذهب، درقاوي الطريقة، جاء لبلاد زواوة وادعى أنه الإمام المهدي المنتظر ، ودعا الناس إلى الإلتفاف به واتبعوه في الأوامر والنواهي فتحرك بهم على قسنطينة و حاصروها يوما كاملا و لا عرف عثمان باي قسنطينة بالأمر، قام بمواجهته وباستعمال الحيلة قتل ابن الأحراش الباي عثمان، في سنة 1806 تمكن من محاصرة بجاية لكن أولاد مقران و الفرق العثمانية أحبطوا محاولته و تبقى نهاية ابن الأحراش غامضة، بنظر: بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص – ص :300-301 ; محمد بن الأمير عبد القادر ، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر ، الإسكندرية: 1908،ج1، ص :117 ; أرزاقي شويتيام ، نهاية الحكم العثماني في الجزائر و عوامل انهياره 1800-1830، الجزائر: دار الكتاب العربي ، ص ،ص : 96،97.

وعياض بسبب إلتفافها حول ابن الأحراش وتأيدهم له، وقد تمكن أولاد مقران من إفشال محاولته لاحتلال بجاية وحاصروه بجبل مغريس بمساعدة فرق من العثمانيين [1] .

يمكن تفسير السبب الذي دفع أولاد مقران إلى الإسراع في تلبية نداء الباب بايلك الشرق للتعاون معه إلى شعورهم بالخطر الذي يهددهم إذا نجح ابن الأحراش في ثورته ،رأوا فيه منافسا خطيرا و مهددا حقيقيالإمتيازاتهم ونفوذهم بالمنطقة[2] .

وبعد القضاء على ثروة ابن الأحراش ،و زوال الخطر الذي جمع شملهم ، وعاد الشيوخ أولاد مقران مجددا إلى الصراع و القتال ، فقد قام علي باي بتعيين إبن القندوز حاكم مطلق على مجانة وذلك وفق سياسة فرق تسد المعتمد عليها، وهذا أثار أولادالشيخ الحاج وأولاد الشيخ عبد السلام وأوحى قائد الحامية العثمانية بمجانة سرا غلى ابن القندوز بالكتابة إلى الباي على لقب المساعدة العسكرية للقضاء على خصومه الذين يدبرون للثورة على البايلك، وفي وقت نفسه أخبر هذا القائد أولاد الحاج و أولاد عبد السلام بأن ابن القندوز يدبر للقضاء عليهم وفبادرو للهجوم وإرتكبوا مجزرة في فرع أولاد القندوز(1117هـ/1800م)[3]

وهكذا إنقلب الباي على حليفه ابن القندوز الذي قتل في الهجوم أولاد الحاج وأولاد عبد السلام لكي يحقق التوازن في المشيخة، وبعدها حكم مجانة ابن عبد الله من فرع أولاد الحاج بعد مقتل ابن قندوز لمدة أربع سنوات وعرفت خلالها مجانة نوعا من الاستقرار بفضل مساعدة الحامية العثمانية المرابطة بمجانة [4]

[1] – أرزقي شويتيام، المرجع السابق، ص : 97.

[2] – ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ، ص، ص: 300 ،301.

[3] –charle féraud , op,cit ,p :275.

[4] – Ibid, p : 275.

غير أن فترة الاستقرار لم تدم طويلا ،فسرعان ما أعلن سكان المنطقة الثورة على الحكم العثماني بسبب الحملات التأديبية ومحلات استخلاص الضرائب ،بإستخدامها أسلوب العنف والقوة اتجاه السكان الأمر الذي كان يزيد من نقمتهم وتذمرهم وبالتالي ردة فعل عنيفة[1]

لقد كان شيوخ مجانة يتسابقون إلى الترحيب بالبايات الجدد فور تعيينهم لعلهم يحضون بثقتهم كما كانوا يغدقون عليهم الأموال والهدايا، فالحاج ابن عبد السلام من فرع أولاد عبد السلام سارع إلى استقبال نعمان باي الذي خلف طوبال باي بمجانة عندما كان في طريقه القسنطينة وشرح له مأساة التي تعيشها المشيخة بسبب سياسة البايات الذين سبقوه، ولا شك انه قدم له هدايا معتبرة ثمنا لتعيينه الحاكم المطلق على مجانة[2] وتقويته على منافسيه من أولاد بورنان وأولاد القندوز الذين تراجعوا نحو منطقة الحضنة، وأعلنوا الثورة على الباي وحلفائه .

تآمرشاكر باي[3] مع فرع أولاد بورنان ضد الباي نعمان، حيث قام بتحريضهم على مهاجمة الجيش العثماني الذي كان بقيادة عمر أغا وفي(1238هـ/ 1814م) أمر الباشا بالانتقام من أولاد بورنان لتعديهم على الباي نعمان و قتله ،فذهب بنفسه على رأس الجيش وخيم ببرج بوعريريج وقام باستدعاء شيوخ أولاد بورنان لإجتماع به عند خيمته، فأقاموا الأفراح وعينوا محمد بن مسعود حاكما على مجانة، وطرد أولاد الحاج وأولاد عبد السلام منها، وسارعوا إلى لقائه معتقدين أنه جاء لينفذ وعده، لكن فرحتهم إنقلبت إلى مأتم عندما غدر بهم وقتل ثمانية شيوخ ولم ينجو إلا شخص واحد لاذ بالفرار. [4]

[1]- فلة القشاعي المرجع السابق، ص : 125.

[2] -lous Rinn ,op,cit ,p : 15.

[3]- شاكر باي :حكم بايلك الشرق، من مارس 1814 إلى جانفي 1818 وكان هذا الباي دمويا لا يستعمل إلا القوة في مواجهة الثروات، فكانت الخيبة تلازمه في كل معركة نتيجة لسياسته التي تميزت بالعنف وسفك الدماء ولقي جزاءه على يد الباي الذي خلعه بعد التمرد ومحاولته التمرد وقتل شنقا . بنظر : محمد بن عبد الكريم، حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته بيروت: دار الثقافة، ط1، 1972، ص :39.

[4] -charle Feraud , op,cit,p : 281-282.

وقد أثارت تلك المجزرة حقد و كراهية كل فروع الأسرة ،فقاموا بإثارة قبائل المنطقة ،ضد شاكر باي ولم يتمكن من إخمادها رغم أسلوب القوة والعنف الذي كان يتبعه، حيث كانت الهزيمة والخيبة تلازمه في كل محاولاته للقضاء على الثورة، وقد عانت منطقة مجانة وما جاورها من الأوبئة و المجاعات والقمع بسبب تلك الحروب التي تسببت في عزل الباي.[1]

وبعد القضاء على أولاد بورنان تقاسم حكم المشيخة أربعة شيوخ : ابن عبد الله ،وبن الحاج ،والحاج محمد بن عبد السلام من فرع أولاد الحاج، ومحمد ابن القندوز ودحمان بن القندوز من فرع أولاد القندوز.

بعد أن تولى الباي محمد الميلي [2] البايلك بعد شاكرباي، ذهب إليه ابن عبد الله ودحمان القندوز يعرض كل منهما نفسه على الباي ليكون الحاكم المطلق على مجانة، وعرض عبد السلام على الباي خطة القضاء على أولاد القندوز فوافق على ذلك على أن يقتسم معه الغنائم، وإشراك الجبال المجاورة لبجاية الثورة على العثمانيين و في هذه الثورة قبضوا على المفتي الحنفي وإقتادوه إلى الجبال، ومات فيها الكثير من الطرفين، ولكي ينتقم الباشا من المتمرد عبد السلام ابن عبد الله في المؤامرة قاموا بدعوة أولاد القندوز إلى وليمة و قتلوا كل شيوخ الفرع.[3]

ويبدو أن سياسة البايات في تحطيم أسرة أولاد مقران قد انقلبت عليهم، ذلك أن الجهة العربية من بايلك الشرق كانت تغلي بسبب الثروات التي اندلعت في هذه الفترة ففي 21 أكتوبر 1823 أعلنت القبائل التي تسكن المدينة أمر بالقبض على كل سكان بلاد زواوة الذين يعملون في المدينة كخدم في المنازل، ويذكر وليم شلر أنه رفض شخصيا تسليم العمال الذين يخدمونه في منزله[4]

---

[1]- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص:28.

[2]- الباي محمد الميلي: تولى الحكم عام 1818م إلى 1819م بعد كل من قارة مصطفى حكم مدة شهر واحد فقط و محمد باي المملوك حكم مدة ستة أشهر .ينظر: ابن المفتي ،المصدر السابق، ص:63.

[3] -lous Rinn .opcit .p : 15.

[4]- وليم شلر، المصدر السابق، ص : 193.

لقد ظل شيوخ مجانة في صراع وحرب إلى غاية مجيئ أحمد باي[1] بايلك قسنطينة(1242هـ/ 1826 م)، واستمر في ذلك حتى الاحتلال الفرنسي

بعد إنتقال حكم قلعة بني عباس إلى مشيخة مجانة على يد سي بتقى ،واستمرت المشيخة بالحفاظ على استقلالها عن الحكم العثماني بالجزائر لفترة طويلة من الزمن من النصف الأول من القرن الحادي عشر للهجري (17م) إلى القرن الثاني عشر للهجري (18م) تتخلها بعض الإضطربات وذلك لرفض العثمانيين دفع ضريبة العبور ومما زاد من قوة مشيخة مجانة إهتمامها بالجانب الإقتصادي خاصة التجارة و الزراعة ولكن بعد وفات سي بتقى خلفه ابنه بوزيد والذي أخر ظهور الصراع بين الإخوة ولم يدم ذلك طويلا فبعد وفاته انقسمت الأسرة إلى عدة فروع وظهرت الصراعات والتطاحنات على حكم المشيخة.

[1]– أحمد باي : هو أحمد بن محمد شريف بن احمد القلي،كرغلي ولد 1786م وتولى حكم بايلك قسنطينة 1827 في عهده حسين داي حاكم الجزائر تصاهر الحاج احمد مع عدد من الأسر منها العائلة المقرانية توفي 1850. ينظر : مزيان وشن، مجانة عاصمة المقرانيين، ص :116.

قسم العثمانيون القبائل إلى عدة أصناف؛ قبائل مخزنية قريبة من مراكز العثمانيين وقبائل رعية التي تمثل موردا للعثمانيين باعتبارها خاضعة لحكمهم ،وبعض القبائل تحالفت مع السلطة، والبعض إما معارضة أو محايدة، ولعل هذه السياسة تعكس بسط العثمانيين ،التي تعتبر ذراع العثمانيين في حكم المنطقة وكانت موزعة عموما في أماكن سهلية أو قريبة من مر لنفوذهم في بلاد زواوة ،خاصة في سيباو،لذلك إتخذ العثمانيين إستراتيجية لتسيير هذه المنطقة. ومع بداية القرن الثالث عشر للهجري (19م)، بدأ الضعف يظهر في الإيالة وتراجعت قوتها حتى تمكنت فرنسا من إحتلالها سنة 1246هـ/ 1830م .

-المبحث الأول: استراتيجية السلطة المركزية في تسيير بلاد زواوة

قام العثمانيين بوضع إسترتيجية لتحكم في بلاد زواوة نظراً لأهمية قربها من دار السلطان ،وتواجد قبائل المخزن بيها ،المتحالفة معها، والتي كانت تقدم لها مساعدات خاصة في الجانب العسكري ،تمثلت هذه الاستراتيجية في مايلي:

1-قائد سيباو:

يعد منصب القائد المنصب الأعلى في قيادة سباو،فيتولى الداي أو الباي ،حسب أهمية ووضعية القيادة،تعيين القائد في مقابل دفع هذا الأخير ل 2200 **ريال** بوجو، ويلبس برنوسا أو قفطانا خاصا بلمنصب ،وهذا في لوقت الذي يدفع فيه "قائد المدينة"قيمة نقدية تتراوح مابين10.000و30.000 ريال بوجو،ويعين من بين الأتراك أو الكراغلة .ومن مهام تاقياد نعيين شيوخ القبائل وقوادها ومراقبتهم ،و أداع "واجب"الجباية على أحسن وجه ،وحفظ الأمن،وتنظيم الأسواق.[1]

[1] – زين الدين قاسمي ،المرجع السابق، ص:78.

وللقياد صلاحيات التدخل في الأمور المالية في كامل أرجاع الإيالة لاسيما فيم يخص تحديد قيمة الجباية و التي يحرص على تحصيلها في كامل تراب القيادة.ويشارك القائد في أداء مهمة القضاء ،والسهر على احترام القوانين السارية في المنطقة إذا كثيرا ما نجده يتدخل لإجاد حلول للمشاكل السياسية و الإجرامية .[1]

2-شيخ القبيلة:

تتشابه صلاحيات شيخ القبيلة على مستوى القبيلة مع صلاحيات القائد على مستوى القيادة ،ونظرا لحساسية الدور الذي يلعبه شيخ القبيلة ،إما على مستوى المجتمع المحلي،أو على مستوى القيادة ،إذا كان يتعين عليه أن يحظى بلثقة المزدوجة من الطرفين ،وعلى هذا الأساس ارتكز العثمانيين ،أو القادة أثناء اختيارهم للشيخ على قوة قبيلته ،ومدى النفوذ الذي كان يحضى به وسط أتباعه .

وقد كان يطلب من الشيخ تحقيق ثلاث خدمات :

-جباية الضرائب.

-السهر على الأمن .

-تعبئة السكان إلى جانب الجيش في وقت الحاجة .

وتضاف إليهم صلاحية القضاء في بعض الإحيان ،لكونهم يعرفون إعراف منطقتهم . وكانت قيادة سيباو تقسم إلى :مشيخات ،أو مشايخ:20

- مشيخة من عمرواة هدفها جمع الضرائب .

-09مشيخات في برج سيباو يجمعون الضرائب من ثورة ،وآيت خلفون ،وسليم وتزبيدة.

-05مشيخات من ذراع بن خدة يجمعونها من آيت عريف،وآيت أورير .

[1] -زين الدين قاسمي ،المرجع السابق،ص-ص:78-80.

مشيختين من تاروقة ،يجمعون من إلتاين،وعطوش.

-مشيختين بعبيد شملال يجمعون في قبيلة إراقن،وفي صف آيت عيسى التي كانت تتشكل من قبائل أعمر أو فايد،وإيفرديوان، وآيت دوالة،وآيت محمود.

-مشيخة واحدة بعمراوة أولاد بوخالفة، يجمعون في آيت خليفة، وابتروتن ،وفي قسم كبير من معاتقة.

-مشبخة واحدة بأولاد فارس ويجمعونها في تامدة،و مقلع.[1]

3- التنظيم الإداري للقيادةسيباو.

لقد مرت قيادة سباو بعدة مراحل يمكن تقسيمها إلى ما يلي:

1- مرحلة تبعيتها لدار السلطان:

وتمتدهذه الفترةمن 1132هـ|1720م إلى غاية 1158هـ|1745م واتسمت هذه الفترة بخضوعهاكليا لدار السلطان من حيث تعيين قائد القيادة الذي بقي من صلحيات الداي، و كذا جباية الضرائب فيها، كما أن الحملات الموجهة لإستخلاص الضرائب تجهز من قبل دار السلطان.

2- مرحلة تبعيتها لبايلك التيطري:

تبدأ من تولي القائد محمد الفريرا لمقاليد بايلك التيطري 1158هـ|1745م و إلى غاية وفاته[2] ومن بين أسباب ضم قيادة سباوإلى بايلك التيطري:

- ظلت منطقة وادي سباو ثائرة في وجه العثمانيين بشكل دائم،بحيث أنهكت قواهم أموال خزينة الإيالة مما جعل العثمانيين يفكرون في وسائل للتحكم فيها .

[1] -زين الدين قاسمي، المرجع السابق، ص،ص:80،81.

[2] -محمد الصغير فرج، المرجع السابق،ص:42.

إن و نفوذه الباي محمد الفريرا في حكومة إيالة الجزائر ،وضم قيادة سباو إلى إقليمه يعتبر تدعيما لسلطته ،فكانت حكومة إيالة الجزائر ترى في ذلك قضاء على تلك التمردات و الثورات التي كانت تحدث في تلك القيادة من جهة[1]،وانشغال الباي بمشاكل مقاطعته يجنيه التفكير في التوسع خارج إقليمه،او الإنفصال عن السلطة العثمانية من جهة أخرى ،والمحتمل أن دار السلطان أرادت توجيه أنظار ذلك الباي للتوسع في اتجاه الشمال،كما أن الحل نفسه يعد اقتصاد لجهودها العسكرية،وأعبائها المالية.

3- مرحلة تجديد تبعيتها لدار السلطان 1168-1246هـ-1754-1830م:

وقد عاودت القيادة خضوعها لدار السلطان بشكل نسبي بدليل وجود قائد سيباو وكان يتحكم في إقليمه ،وهذا ابتداء من سنة 1168هـ-1754م،وكانت قيادة سيباو من بين القيادات التي تتمتع بنظام خاص في التسيير[2]

1-وسائل تحكم القيادة في المنطقة:

1-بناء الأبراج:

لقد كان من المهام الرئيسية للإدارة بالأرياف إبقاء قبائل الرعية خاضعة لمراقبة القياد وإشراف الشيوخ ،وكذا تشديد المراقبة على الأسواق ،وتعزيز حراسة قبائل المخزن لطرق المواصلات ونقاط العبور ،وذلك لإبقاء صلة الولاء والتبعية للقبائل المتعاملة مع البيالك ،ولذلك إعتمدت الإدارة العثمانية بالأرياف –قصد تسييرها –على إقامة نظام يستند على الحاميات العسكرية الذي تمثل في الأبراج ومنها:[3]

[1] - محمد الصغير فرج، لمرجعالسابق،ص:43.

[2] -زين الدين قاسمي، المرجع السابق،83.

[3] -المرجع نفسه،ص،84.

عندما عزم حسن بن خير الدين في توجيه حملة على السلطان عبد العزيز سار باتجاه السهوب الجنوبية[1]، فاستولى على مسيلة وشيد بها حصنا للمراقبة ثم توجه نحو الشمال وأسس حصنا أخر سماه برج سنة 1559م هو نفسه برج بوعريريج الحالي وفي السنة نفسها 1559 وصلت القوات العثمانية زمورة[2]، واسسو فيها كذلك حصنا منيعا وأطلقوا عليه اسم برج زمورة، وانزل في هذين الحصنين حاميات عسكرية عثمانية تؤمن الطريق إلى بايلك الشرق، قوامها 400 جندي[3] ويبدو أن هذه المحاولة الأول للعثمانيين في تشيد الأبراج في بلاد زواوة .

2- برج سيباو:

يقع برج سيباو عند سفح جبل ذراع الكروش ،شمال وادي سيباو ويبعد بحوالي 03 كلم عن تادمايت و 02 كلم عن تيزي وزو ، ويدعى أيضا برج تاورقة نسبة إلى المكان الذي أسس فيه [4] وهو يشكل بذلك نقطة التقاء بين الطرق بذلك نقطة إلتقاء بين الطرق القادمة من الجزائر وتيزي وزو ودلس ومختلف المسالك المتوجهة إلى داخل بلاد زواوة [5] ويعود إنشاء برج سيباو إلى حوالي1125هـ/ 1720م حين عينت السلطة العثمانية بالجزائر ضابطا يدعى علي الخوجة لمراقبة قبائل زواوة و لتثبيت الوجود العثماني بطريقة دائمة [6] في حوض سيباو و بمجرد ووصله إلى مقر قيادته الجديد قام بمواجهة مقاومة عمراوة ووضع حدا لثورة سي أحمد بن علي (قرب جمعة الصهاريج) وتغلب على قواته في ذراع بن خدة ،ثم آث فراوسن. [7]

---

[1]- رشيدة شدري معمري ،المرجع السابق، ص: 22.

[2]- زمورة: تعني باللغة التركية "الحصن العسكري" وهي كلمة مركبة من: زمو: معناها الحصن أو الرباط .راه: ومعناها الحامية أو الجيش أو العساكر وهو ما يعني إجمالا – حصن الحامية العسكرية ، وقد نجد لفظ زمورة في عدة أماكن عبر الوطن وهي كلها أماكن مرتفعة لغرض عسكري إستراتيجي إبان الحكم العثماني للجزائر ،ينظر: مزيان وشن مجانة عاصمة وإمارة المقرانيين ،ص : 107.

[3]- مزيان وشن،المصدر السابق، ص: 107.

[4]- زين الدين القاسمي، المرجع السابق، ص :85.

[5]- محمد أرزقي فراد، المرجع السابق، ص: 56.

[6]- محمد الصغير فرج، المرجع السابق، ص:37.

[7]- زين الدين اسمي ،المرجع السابق، ص: 86.

ومن أهم نشاطاته الكثيرة نجاحه في تنظيم قرى أهل عمراوة و تحوليها إلى مخزن[1]، ولقد إختار حاكم الجزائر مكان سيباو نظرا لأهمية موقعه ليكون قاعدة عسكرية لقبائل عمراوة ومقرا لحاكم بلاد زواوة، كما كان مركزا إداريا وقضائيا للمنطقة، وكان لقائد سيباو على غرار الداي، صلاحيات واسعة في وطنه ، ويقوم بتعين الشيوخ وتنظيم الأسواق الأسبوعية قصد السيطرة على أهالي الجبال و قرض الضرائب [2].

ولقد كان عدد المدافع في البرج 80 قطع و50 رجلا يشكلون حامية وكان تحت تصرفه 03 زمالات وهي التي تكون منها مخزن عمراوة ولقد إزدادت أهمية برج سيباو العسكرية والإدارية لكونه يمثل المركز الذي توجه إليه المداخيل العينية والنقدية التي ساهم بها حوالي عشرون قبيلة سواء كانت دنوس، صغرى (ضرائب فعلية) أو دانوس كبرى (ضرائب سنوية) [3]

3- التنظيم الإداري لبرج سيباو:

كان برج سيباو يشتمل على عدة طوابق فكان للطابق السفلي لبرج سيباو محاطا بسور دفاعي ،وبداخله توجد مخازن للقمح والشعير ،والزيت والبارود، وكان يشتمل على ساحة يتجمع فيها الأسرى ، ثم يليه الطابق المخصص للقائد ودار الصناعة ، وغرف الحراس ،و .أخرى للقهواجي .و لم يكن القائد يسكن في البرج ، وإنما كان يسكن مع عائلته في الفحوص القريبة منه ،وكان يحيط بالبرج إسطبل و مطحنة وورشة لصناعة الزجاج.

وكان البرج يشرف على مدخل حوض سيباو، بحيث كان يتحكم في كل الطرق الاتصالات ، وكذالك الطرق التي كانت تؤدي إلى مختلف الأسواق الخارجية .يحيط بقائد سيباو مجموعة من

[1]- محمد الصغير فرج ،المرجع السابق، ص : 37.

[2]- زين الدين قاسمي، المرجع نفسه، ص:86.

[3]- محمد ارزاقي فراد، المرجع السابق، ص: 56.

الموظفين منهم قاضي للشؤون العدلية [1] شاوشين و خوجتين وسيار وساعي البريد، وقائد الدارا ،ورجل اسود خادم وقهواجي، و12 موسيقا، و60 حارسا عسكريا بالمكاحلية[2] .

وكان قائد سيباو يستقبل السكان ،الذين يتقدمون بشكاويهم ،وكان الأمر يتم في ساحة البرج بين شاوشين ،ويستنعون إلى القائد الذي كان يخاطبهم من الطابق العلوي .

وقد كان لقادة سيباو صلاحيات واسعة ؛فكان لهم حق الأمر والنهي ،وكانت أحكامهم الردعية أن تبقى رؤوس المحكوم عليهم بلقطع ،معروضة لمدة يومين على باب البرج ثم ترمي في حفرة بوزيد ،تقع على بعد خمسمائة متر من المجاور ليسباو ؛وذلك عبرة لمن تسول له نفسه ارتكاب مخالفات .

وقد كان القائد يذهب دوريا إلى سوق السبت ،وينصب خيمة فيها ،وكان يصحب هذا التنقل احتفال أو مهرجان على الشكل التالي ؛كان القائد يسير في طليعة الموكب ،يتبعه سبعة حراس حاملين لرايات أو اعلام ،ويليهم الموسيقيون على أحصنهم ،وكان فرسان المخزن يغلقون الموكب باستعراضات الفروسية على أحصنتهم [3]

4-برج بوقني او بوغني:

ويسمى كذلك نسبة إلى المكان الذي أسس فيه وافني هو السهل الذي يضع في مكان عالي وبين الجبال , يعود تاريخ بنائه إلى نفس الفترة التاريخية1129هـ/ 1724م وقد كان برج بوقني تابعا لقيادة سيباو وكان يحتوي على 04 صفرات تتكون الوحدة منها على 16 رجل[4] ويعد برج بوغني أحد الدعائم الأساسية للسلطة المركزية بمنطقة زواوة وقد قسم إلى مشيخات حيث يقوم المسؤول بجمع الضرائب[5] .

---

[1]- زين الدين قاسمي، المرجع السابق، ص: 87.

[2]- المرجع نفسه، ص: 88.

[3] -زين الد ين قاسمي ،المرجع السابق،ص،ص:88،89.

[4]- المرجع نفسه، ص :90.

[5]- رشيدة معاشي معمري، المرجع السابق، ص:28 .

5-برج تيزي وزو:

ويعرف ببرج تيزي ويتواجد على الطريق الأساسي المؤدي إلى تيزي وزو وهو قريب من الزمالة التي تحمل نفس الاسم.

لقد قام قائد سيباو محمد بن علي[1] العزيز الذي خلف خاله حسين بن عثمان خوجة عام 1737م بتوسيع برج تيزي وزو وإعادة بناء برج تزاغارت (تازارارت) الذي يقع بين تالة، عثمان وعبيد شمالا و الذي قام سكان عرش واقنون بهدمه عام1121هـ/ 1716م، وكان البرج يحتوي على 03 صفرات. علاوة على ذلك أنشأت عدة بريجات صغرى لا تضاهي الأبراج السابقة للذكر وإنما اصغر منها كبريج جمعة الصهاريج، و نادرا ما تمكث فيه القوات العثمانية.

اعتمدت القيادة على وضع زمالات بين الأبراج تسهر على ضمان الاتصالات وتسهل الحركة، وتراقب القبائل الأخرى وتمارس عدة مهام إضافية.

6-برج إمناين:

وسمى فيما بعد ببرج إمناين، وتعني كلمة إمناين باللغة المحلية الفرسان ، أي برج الفرسان ويعد هذا البرج أقدم برج في المنطقة إذ عاصر996هـ/ 1594م لحماية سهول يسر من الهجات المختلفة ، و المتكررة على مدينة الجزائر ، وبعد تأسيس قيادة سيباو أصبح البرج يتبعها وجعل مقرا لإقامة وكيل الخرج العثماني المكلف بالإشراف على أراضي البايلك، وكان يحتوي على بعض القطع المدفعية ، وأصبح هذا البرج تحت سلطة قبائل المخزن عام1246هـ/ 1830م. [2]

[1]- محمد بن علي: الملقب بالسفاح كان بايا من أشهر القادة الذين تعاقبوا على إدارة برج سيباو ولد بالبليدة في بداية القرن الثامن عشر , درس في زاوية آيت عمار في عدني قرية أهل اراتن وتم تنصيبه حاكما على وادي سياؤو في 1737م ينظر محمد الصغير فرج، المرجع السابق، ص :39-40.

[2]- زين الدين قاسمي، المرجع السابق، ص- ص:91-92.

2-قبائل المخزن:

عرفها سعيدوني بقوله: "هي عبارة عن تجمعات تعميرية اصطناعية.... مختلفة في أعراقها فمنها من أقره الأتراك بالأرضي التي وجدت عليها لتكوين سند لهم، ومنها من أعطيت لها أراضي تستقر عليها ، ومنها من إستخدم كأفراد و مغامرين و متطوعين من جهات مختلفة ليؤلفو جماعة عسكرية ترتبط مصالحها بخدمة الحكومة التركية " [1].

فكر العثمانيون في خلق قبائل المخزن بسبب ضعف عددهم ، فقربوا أفراد القبيلة إليهم بمنحهم بعض المزايا[2] وأيضا لتعزيز الجيش لجأت السلطة إلى قبائل المخزن التي كانت بمثابة قوة عسكرية أوكلت لها مراقبة المناطق الغير خاضعة خاصة وان الجيش العثماني في هذه الفترة كان قليل العدد ففي سنة 1769م لم يتعدى عدد أفراده خمسة آلاف .

وذلك لتدعيم قوتهم العسكرية، لأنهم كانوا عاجزين عن تجنيد أكثر من أثني عشرة ألف تركي وكرغلي أثناء الحروب ،خاصة بعدما توقف عن جلب الجنود المرتزقة من الأناضول، كما كان الأمر في السابق، لأنهم كانوا مضطرين إلى دفع أجورهم، وهو أمر كان يضرب امتيازاتهم ومصالحهم الخاصة. لأن جلبهم كان يتطلب مصاريف إضافية تتقلص من ثرواتهم ،خاصةبعدما شحت الموارد البحرية.[3]

لذلك قام علي خوجة بتأسيس قبائل المخزن بعد استقدام عائلات عديدة ذات أصول مختلفة إلى منطقة زواوة وبالأخص سيباو ومنهم (عرب، أتراك، عبيد....) بالإضافة إلى تشجيع السكان المحليين على النزول من جبالهم، وفي هذا السباق أسس علي خوجة قرية عبيد شمالا عمرها العبيد بغرض تزويد برج تيزي وزو بالحضر، ثم لم يلبث أن تحولت بمر الزمن إلى قرية مخزن تزود العثمانيين بالفرسان[4] كان فرسان المخزن يتواجدون مع قبائلهم في النقاط الإستراتيجية[5] حول

[1] – ناصر الدين سعيداني ، و ضعية القبائل المخزنية والآثار المترتبة عليها المجلة تاريخية المغربية ،عدد 1977.87،ص:75.

[2] – زين الدين قاسمي، المرجع السابق، ص:93.

[3] – رشيدة معاش معمري، المرجع السابق، ص: 26.

[4] – محمد أرزاقي فراد، المرجع السابق، ص: 53.

[5] – قايد ملود، البربر عبر التاريخ من الكاهية إلى العهد العثماني، الجزائر، منشورات ميموني،2007 ص :320.

الأبراج والحصون لدعم الحاميات العثمانية كما هو الشأن بالنسبة لعمراوة بعدما تحولت قبائلها إلى المخزن وهي تسمى عمراوة التحاتة، وآل عمراوة الفواقة إلى قبائل متحالفة ويضاف إليها قائد سياو.

هذا ما جعل ديوان الحكم يعتمد عليهم في كل الإستراتيجيات السياسية والعسكرية،حتى أن بعض الدايات منحوا لهم كل الصلاحيات في ترسيم وتنصيب البايات وخلفهم.[1]

لقد اعتمد العثمانيون على نظام قبائل المخزن لتسهيل عملية تحصيل الضرائب التي كانت تلقى رفضا كبيرا من طرف السكان ، فاعتمادهم على قبائل المخزن لكونها عنصر محلي بالدرجة الأولى ، وحتى تتفادى الوقوع في صدمات مباشرة مع الأهالي، كما كان هذا بمثابة إستراتجية لإخضاع المحكومين[2]. ونجد أن فرسان المخزن كانوا يتواجدون أيضا مع قبائلهم في الجسور والممرات مثل عريب بالقرب من ممر سور الغزلان ويوحلوان بالقرب من مضيق ودي جر ودايرة الزناتية التي تراقب ممر رأس العقبة بين قالمة وقسنطينة، وبالقرب من الأسواق ومطامير البايلك مثل السوق العثمانية الذي تراقبه دايرة صحراوة، ومخزن بوصالح الموجودة على الطريق الرئيسي[3].

ولعل ما جعل لتلك القبائل مكانة عسكرية ونقلهم من صفة الجند غير نظامين إلى نظامين هو إصدار حسين باشا قانون سنة 1827 يعيد فيه كل فارس ومحارب من زواوة ومن ال عمراوة وسيباو في سجلات و دفاتر رواتب جند الانكشاري ووافقه في ذالك الاغوات والخوجات بالديوان الخاص فانخرط بذالك 200 فارس[4] .

لقد لعبت قبائل المخزن دورا فعالا في إدارة الايالة متى غدت من أهم الوسائل التي تعتمد عليها السلطة، فحضور رجال المخزن ضروري عند عملية جباية الضرائب، لأنهم أصبحوا يشكلون جزء هاما في المحلة، التي كانت توجه سنويا لجباية الضرائب نحو الشرق والغرب والتيطري .

---

[1]- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص: 64.

[2]- رشيدة معاشي معمري، المرجع السابق، ص :27.

[3]- قايد ملود، المرجع نفسه، ص :320.

[4]- حسان كشرودة، رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانية (1830-1859م) رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث تخصص التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة،2007-2008، ص :166.

هذا الأمر جعل منها الساعد الأيمن للسلطة في تطبيق الإجراءات الحربية والإدارية، إذ كانت قبائل المخزن بمثابة شرطة محلية ضد الحركات المعادية ، تعمل على تطبيق أوامر البايلك، وحماية مصالحه وفرض احترام الرعية له ، وتراقب الأماكن الإستراتيجية وتدعيم الحاميات العسكرية بالجنود.[1]

يقود قبائل المخزن شخص في منصب الأغا يساعده شاوش و لأهمية منصب الأغا، فانه كان محل أطماع الكثيرين، ومن اجله يدفع 15 ألف بوجو، ناهيك عن الهدايا والفوائد التي تمنح أثناء الخدمة أما قبائل المخزن فكانت تتحصل ،في مقابل أداء خدمتها العسكرية للعثمانيين على هدايا، حيث كانوا يحيون الضرائب ويحتفظون بنصيب لأنفسهم.[2]

3-الدور السياسي للمرابطين :

رحب معظم المرابطين بالعثمانيين، كما أن هؤلاء قد شعروا بأن أقرب الناس إليهم هم رجال الدين والتصوف ، لذلك كانوا يلجئون إليهم ويتبركون بهم ويطلعونهم على خططهم، وهذا يدل على الثقة المتبادلة بين الطرفين[3].

وكان العثمانيين يلجئون إلى المرابطين في فك النزاعات بينهم وبين القبائل وبالمقابل كانت السلطة العثمانية تمنحهم امتيازات في الإشراف على بعض الأنشطة التي تعود عليهم وعليها بالنفع، ولدلالة على ذلك ارتأينا تقديم هذا النص بمرابط في ناحية بجاية سنة 1682: " أما بعد فإن حامله المعظم الفقيه الأجل السيد الأعلى البركة السيد عباد القادر ابن المرحوم الولي الصالح الشيخ البركة

[1]- رشيدة شدري معمري، المرجع السابق، ص : 38.

[2]- زين الدين قاسمي، المرجع السابق، ص :95.

[3]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830 ،بيروت، دار العرب الإسلامي (ط1) 1998، ج1،ص: 464.

سيدي محمد أمقران... يكون الجميع كلهم زاوية من زاوياه، ويكون كلهم حسبا عليه وعلى أعقابه ينتفع بمقرهم وزكاتهم".[1]

بالإضافة إلى أن القبائل كانت تميل إلى المرابطين وتعتز بهم وقد يصل الأمر إلى قتل أصدقائهم وحتى أقاربهم إذا علموا أنهم يحتقرون المرابطين، وإذا سافروا يأخذون معهم أحد المرابطين كمنقذ أو كحام، ويزعمون أن ليس في استطاعتهم بدون مرابط أن يؤمنوا من الحوادث التي قد تقع أثناء السفر وجعلت الضرورة من هذا الإجراء شيئا لا بد منه تبناه العثمانيين بدورهم للمحافظة على أمن الطرق وإن الحاميات العثمانية نفسها عندما تتوجه إلى حصن بجاية سنويا مضطرة إلى أصحاب مرابط.

ولقد كان المرابط المرجع الأساسي لفتح المفاوضات بين المتنازعين وإيقاف الحروب وهو ما حدث فعلا سنة 1637 لإخماد ثورة ابن السخري، وسنة 1642 لوقف القتال بين القوات العثمانية وقبائل زواوة الثائرة على الحكم العثماني ولم يتوقف دور المرابط عند هذا الحد بل تطور إلى درجة تحوله لإلى ما يشبه الموظف الإداري، ذلك أن البايات كانوا يعمدون إلى إسناد مشيخة القرية أو القبيلة إلى مرابطها مقابل ضريبة سنوية يدفعها المرابط للباي.

لقد كان المرابطين و الزاويا خير سند للبايات في تثبيت حكمهم و إخماد أي ثورة يمكن أن تهدد وجودهم بالبايلك، كما كانت زاوية المرابط الملجئ الأول للباي في أوقات المحن فكان الباي المخلوع أو الذي أراد الفرار من الحياة السياسية لمخاطرها، لا يجد ملجئ له ولأسرته و مخبأ لأمواله، غير زوايا المرابطين لمالها من حصانة، فنجد الباي علي بن صالح[2] 1710 لجئ إلى زاوية سيدي احمد بن علي أمقران بمجانة و بقائه بها حتى وفاته ونجد أن أهم سلطة كانت تخضع لها الجزائر في أواخر العهد العثماني بالريف هي سلطة المرابط، القائد أو الشيخ ، ليكون حكمهم العثمانيين للبلاد

[1]- حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص:39.

[2]- جميلة معاشي، الإنكشارية و المجتمع في بايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة منتوري ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسنطينة،2007-2008، ص – ص :103 -105 .

غير مباشر بل بواسطة أهلها أنفسهم ، خاصة في المناطق الغير خاضعة والبعيدة،وهذا يعني أن العثمانيون حاولوا خلق إطار لتواصل مع الأهالي عن طريق زعماء القبائل والسلطة..[1]

ومن مهمات المرابطين وعظ الناس و إرشادهم إلى أمور دينهم والإحسان إلى الفقراء، ونشر التعليم ومبادئ الدين و إصلاح ذات البين[2] وقد روى الورتلاني كثيرا من ذلك حيث يرى أنه ملزم بالقيام بهذا الدور لتهدئة الأوضاع نيابة عن السلطة التي رفض الأهالي الجبليون الخضوع لها، فصور ذلك قائلا " وحكم السلطان غير نافذ فيهم، إذ لا يقدر عليهم وإن كانوا قريبا من الجزائر لكونهم تحضوا بالجبال، فلم يفد فيهم إلا همة الصالحين وأهل الخير ويجب على من يقبل منه أن يذهب إليهم و يصلح حالهم ليرتفع ما فيهم من المعصية".

ويضيف بأنه ذهب لبعض القرى، وقد دمرت وخربت بسبب الفتن و الحروب آملا بالتعاون مع حاكمها، أن يصلح بين الفريقين ، ويذكر أن حاكمها كان سلطان مجانة محمد بن أحمد بن القندوز المقراني، ويذكر في مناسبة أخرى أن سكان قرية سيدي بهلول، قد حرقت قريتهم وطردوا منها وقتل العديد منهم حيث عمل الورتلاني على عقد صلح بينهم وبين أعدائهم وردهم إلى قريتهم. إلا أن الورتلاني لم يفصل كثيرا في هذه الأحداث سوى ذكره لإقامة الصلح بين قبائل زواوة وبأنه كانت علاقات متينة وصداقة قوية مع حكام بلاد زواوة كبني عباس وآل القاضي، وأن العثمانيين كانوا يستخدمون العلماء والمرابطين في هذا الشأن.

حيث ذكر الورثلاني أن بعض القبائل من زواوة كبني إبراهيم وأولاد الخلف وبني عشاش قد تمردت، فتدخل الورتلاني إلى جانب القوات العثمانية التي وضعها أحمد باي (1756-1771) باي

[1]- رشيدة شدري معمري، المرجع السابق، ص: 30.

[2]- أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص : 488.

قسنطينة تحت تصرفه فأمر الخليفة بأن يقتل منهم مائة و سيعين شخصا حتى يتوبوا ويرجعوا إلى الطاعة والسكون[1].

بعد انتقال مقر حكم قلعة بني عباس إلى مشيخة مجانة على يد سي بتقى، واستمرت المشيخة باستقلالها عن الحكم العثماني لفترة طويلة من الزمن النصف الأول من القرن 17 إلى أواخر القرن 18م تتخللتها بعض الاضطرابات وذلك لرفض العثمانيين دفع ضريبة العبور، وبعد وفاته خلفه ابنه بوزيد والذي آخر ظهور الصراع بين الإخوة لكن ذلك لم يدم طويلا فبعد وفاته ظهرت الصراعات والتطاحنات على حكم المشيخة، وقام العثمانيين باستغلال الموقف لضرب فرع بفرع آخر، ومما زاد من قوة مشيخة مجانة اهتمامها بالجانب الاقتصادي خاصة التجارة والزراعة، وفيما يخص السلطة العثمانية فقد تمكنت من وضع تنظيم عسكري ببلاد زواوة وذلك بوضع حاميات وأبراج إلى جانب القبائل المخزن لحفظ الأمن في المنطقة وجمع الضرائب، كما اعتمد العثمانيون على المرابطين في فك النزاعات وإخماد الثورات نظرا لقوة تأثيرهم على السكان.

المبحث الثاني: الاحتلال الفرنسي لبلاد زواوة

كانت أسرة أولاد مقران تعاني الضعف والانتقام قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830بسبب الحروب التي نشبت بين زعمائها منذ زمن بعيد والتي تسببت في انقسام الأسرة إلى عدة فروع متناحرة حيث كل صف يرى أنه الأحق والأجدر بحكم مشيخة مجانة، وعندما نادى الداي حسين[2] كل القبائل والأسرى الكبيرة للدفاع عن مدينة الجزائر ضد الحملة الفرنسية [1] تناسى أولاد مقران أحقادهم وتركوا صراعهم وهبوا جميعا لتلبية نداء الداي .

[1]- مختار بن الطاهر فيلالي، رحلة الورتلاني، عرض ودراسة الجزائر دار الشهاب، بدون سنة، ص – ص: 100-103.

[2]- الداي حسين : ولد سنة 1764م في مكان يدعى ندر له نشأ في إسطنبول وخدم في المدفعية و ترقى فيها بسرعة و عندما تعرض لعقوبة قاسية فر إلى الجزائر وانظم إلى أوجاقها و تولى فيها عدة ، وظائف قبل أن يصبح وزيرا وتولى داي للجزائر1818 و بقى في الحكم 12 عاما و شهد الحملة الفرنسية على الجزائر . ينظر : أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية، لبنان : دار العرب الإسلامي ، 1992،ج1 ، ص : 19.

وادعى ابن عبد الله كبير الأسرة و شيخ مجانة ، إلى تكوين فرقة من الجيش ،وأسند قيادته إلى كل من محمد بن عبد السلام، وأحمد بن محمد وبقي هو بمجانة بسبب سنه المتقدم، وسارت الفرقة بقيادة أولاد مقران مع أحمد باي إلى مدينة الجزائري، و كانت مشاركتهم في مدى الحملة فعالة بشهادة الفرنسيين أنفسهم، و ذكروا أن دور فرسانهم كان بارزا في[2] معركة سيدي فرج، وأن الفرنسيين عانوا كثيرا من مقاومتهم الباسلة، وعندما سقطت مدينة الجزائر في أ الفرنسيين، عاد احمد باي ومعه أولاد مقران إلى قسنطينة فرافقه أحمد بن محمد وكان إلى جانبه يدافع عنه ضد أعدائه.

وعندما دخل منطقة البيبان، إعترض سبيله إبن القندوز المقراني على رأسه قوة كبيرة من القبائل المعادية للباي وهي أولاد عامر، وأولاد عبد النور التلاغمة ريغة القبالة، وقبائل فج مزالة (فرجيوة) [3] ولكن الباي أحمد تمكن من الإفلات منهم باستخدام الحيلة، حيث كتب رسالة إلى إبن القندوز يعيده فيها بتنصيبه على مشيخة مجانة إن توقف عن قتال، ودعاه إلى لقاءه في خيمته بمجانة، فلم حضر إبن القندوز قام احمد باي بإلقاء القبض عليه. فزاد ذاك من نقمة السكان وثورتهم.

وتمكنوا من الحاق باحمد باي رغم قراره، ونزل احمد باي ضعيف على القبيلة أولاد عبد النور فثار عليه سكان القبيلة ونجى بأعجوبة للمرة الثانية، وطلب المساعدة من أولاد بن قانة [4] أخواله

---

[1]- أرجيمنت كوران، السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر ، تونس :تر عبد الجليل النميمي منشورات الجامعة التونسية (ط2) 1970، ص :270 ; حمدان خوجة ، المصدر السابق ،ص :88 ;

عمار هلال ، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962) ، الجزائر : دار المطبوعات الجامعية ، 1995 ، ص : 47.

[2]- يحي بوعزيز ،كفاح الجزائر ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986 ، ص : 33.

[3] -lousRinn .opcit .p :15.

[4]- أولاد بن قانة :قبيلة في شمال غرب قسنطينة، بدا نفوذها منذ أن تزوج احمد القلي من ابنة صديقه سليمان بن قانة الذي كان حدادا بمنطقة رجاص، شمال غرب قسنطينة، وبعد أن اعتلى احمد القلي منصب باي قسنطينة عمل على رفع أصهاره، من مجرد أسر ريفية إلى أسر مرموقة أقحمها في حكم الصحراء باسم السلطة المركزية بقسنطينة .ينظر : جميلة معاشي، المرجع السابق ص :259.

ولحق به السكان الثائرين ، كان عددهم كبير ولولا أولاد بن قانة ووصلهم في الوقت المناسب كما تمكنوا من تفريق أعدائه. [1]

وما أن تمكن الباي احمد من التحرر من قبضة الثائرين، حتى سمع بحركة تمرد تزعمها الباي السابق ابراهيم الكريتلي [2] الذي أراد أن يغتنم الفوضى التي عمت البلاد بعد الاحتلال الفرنسي ليعود لحكمه بايلك قسنطينة حيث جمع القبائل الحاقدة على الباي مدعيا أن الفرنسيين عينوه بايا على قسنطينة [3].

وكان ابن عبد السلام المقراني وبن عاشو شيخ فرجيوة، من بين الذين التفوا حوله وسار بهم في اتجاه قسنطينة و في طريقه خيم عند قبيلة أولاد عبد النور، ثم التحق بهم فرحات بن سعيد على رأس قوة كبيرة من عرب الصحراء ، فخرج أحمد باي لقتالهم، وعندما علم بعددهم الكبير فكر في حيلة لتفرقتهم فعرض المال على شيخ قبيلة أولاد سحنون بسحب جيشه. ولم رأى إبراهيم الكريتلي جيشه متفرق انسحب وخرج احمد باي منتصرا[4].

يبدو أن محمد ابن عبد السلام لم يكن راضيا على سياسة سهره احمد باي الذي اسند مشيخة مجانة الى عدوه ومنافسه احمد بن محمد فأراد الانتقام من الحاج احمد، وخرج على رأس مجموعة من الشيوخ تتألف من صالح بن يلس شيخ أولاد عامر و فرحات بن سعيد وبوعكاز بن عاشور وسي بوضياف شيخ أولاد ماضي، واتصلت هذه القبائل بالقائد بثيزين (Berthezéne) بمدينة الجزائر فعرض عليه استعدادها لاستسلام والتعاون مع الفرنسيين، وذلك للإطاحة بأحمد باي[5].

---

1 -Charle Féraud .opcit .p :10.

2- ابراهيم الكريتلي :اصله من جزيرة كريت حكم بايلك قسنطينة لمدة سنتين و ستة أشهر من جويلية 1822 إلى ديسمبر 1824 .ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية ص :145-146.

3- حميدة عميراوي، دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية 1827-1840، قسنطينة، دار البعث (ط1) 1987، ص :133.

4 -Charle Féraud opcit .p :310.

5 -Charle Féraud opcit .p :304.

إلا أن الفرنسيين لم يردوا على رسالتهم بسبب انشغالاتهم بأحداث الحملة، والصعوبات التي واجهوها ،وعندما يئس محمد بن عبد السلام من مساعدة الفرنسيين له للانتقام من احمد باي لجئ إلى باي تونس وكتب له يعرض عليه التحالف معه .للقضاء على احمد باي وقد علم هذا الأخير بذلك وتمكن من القبض عليه وكاد أن يقتله، لولا توسلات زوجته عيشوش ، فاكتفى بوضعه في سجن القصبة .[1]

لقد وجه الفرنسيون حملتهم إلى قسنطينة نوفمبر 1836 وقد منى الجيش الفرنسي بالهزيمة.

وأثناء الحملة الثانية على مدينة قسنطينة في 1837، تمكن الفرنسيون من اقتحام المدينة فانتهز محمد بن عبد السلام فرصة الفوض التي عمت المدينة أو تمكن من الفرار من السجن في يوم 13 أكتوبر من نفس السنة 1837، والتحق بمجانة، حيث أعاد جمع القوة و إستمال فرسان الحشم إلى جانبه و أعلن نفسه الحاكم الشرعي المشيخة في غياب خصمه أحمد بن محمد [2] وبعد سقوط مدينة قسنطينة ولجوء أحمد باي إلى الجنوب، توجه أحمد بن محمد أمقران مع بقية رجاله غلى مشيخته بمجانة لكنه وجد ابن عمه وخصمه محمد بن عبد السلام قد استولى عليها و منحه من الدخول إليها فلجأ إلى قلعة بني عباس التي ظل سكانها أوفياء للأسرة.[3]

عندما أبعد أحمد بن محمد من مجانة شعر بالتهميش والإقصاء، وضياع النفوذ والسلطة ،فبدأ يفكر في الاستسلام و الخضوع للفرنسيين فاتصل بصديقه بوعكاز بن عاشور شيخ فرجيوة ،وأعرب له عن نيته في الاستسلام، وذهب إلى فريق غالبوا (galbois) في قسنطينة في جويلية 1833 فقام بتعينه قائدا على أولاد عامر ناحية سطيف بصفة مؤقتة، وكان الفرنسيون قد عينوا بن هاني بن يلس

[1] – حميدة عميراوي، المرجع السابق، ص :198.

[2] -Charle Féraud opcit .p :310.

[3] -colonel robin l'insurrection de la grande kabylie en 1871 Alger 1901 pp: 96-63.

خليفة على مجانة كرد فعل على تعيين الأمير عبد القادر محمد بن عبد السلام على المشيخة مجانة وكان هدفهم ضرب الأسرة ومشيخة في آن واحد .[1]

أظهر أحمد ابن محمد المقراني الولاء للفرنسيين رغم عدم رضاه رغبة منه في الوصول إلى طموحه و خاض عدة معارك مع الفرنسيين ضد قبيلة ريغة القبالة في سبتمبر 1838 وقتل بن هاني بن يلس وقام فلي(valée) شخصيا بتنصيبه في 24 أكتوبر 1838م وفي حفل بهيج بقصر الباي بقسنطينة ووقع الخليفة على وثيقة التعيين بعد أن أدى اليمين بحضور عدة شخصيات وطنية وفرنسية [2]

باشر الخليفة أحمد بن محمد المهام التي أسندت إليه دون أن يلتحق بمشيخة مجانة التي لم يلتحق بها إلا بعد عام من تنصيبه وذلك بسبب وجود حليفه الأمير عبد القادر محمد بن عبد السلام بها ، فقد كان الخليفة محمد بن عبد السلام مدعما بجيش نظامي يتكون من ثلاثة مئة جندي من المشاة النظاميين، وخمسين فارس نظاني، بالإضافة إلى أفراد فرع أولاد عبد السلام وأولاد القندوز المتعاونين معه [3] وكانت السلطة الإستعمارية بلا شك تهدف من وراء ذلك إلى ضرب ابن عمه خليفة الأمير عبد القادر نفس المشيخة [4] .

وهكذا وضع أحمد بن محمد المقراني نفسه في خدمة الاستعمار الفرنسي التي وضعت سياسة جديدة تتمثل في التعامل مع أسرة الكبيرة ذات النفوذ و ذلك بالحفاظ على الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها خلال العهد العثماني مقابل تعاونهم معها في التوسع في الجزائر والقضاء على المقاومة .

[1] – محمد بن الأمير عبد القادر لسابق ص : 200.

[2] –.23 lousRinn .opcit p:17.

[3] – محفوظة قداش، جيش الأمير عبد القادر تنظيمه وأهميته، ترجمة حسين بن مهدي،ضمن مجلة الثقافة، بالجزائر ع: 75 سنة 1983، ص 65.

[4] –Charle Féraud opcit .p :312.

وكانت سلطة الخليفة أحمد بن محمد تقع على المناطق التي لم تتمكن الإدارة الاستعمارية من حكمها مباشرة فهي تمتد من بايلك التيطري وبرج حمزة غربا مشيخة مجانة قزيجيوة شرقا,ومن البيبان حتى مشيخة ابن قانة جنوبا ، فكان يتحكم في قبائل برج حمزة ، الجلفة، بوسعادة ،الحضنة أولاد نايل، بسكرة وحوض وادي ريغ [1] وقد حدد قرار تعيين أحمد بن محمد على مشيخة مجانة مهامه فيما يلي:

- تنصيب شيوخ القبائل الخاضعة لسلطته.

- تقديم المرشحين للقيادات إلى القائد العام بقسنطينة لتعيينهم.

-تحصيل الضرائب المتنوعة لحساب السلطة الفرنسية مع الاحتفاظ بثلث ضريبة الحكور مقابل أتعابه -القضاء بين الأهالي حسب ما تقتضيه الشريعة الإسلامية.

وقد ساعدته فرق من الصبايحية في فرض سلطته على المناطق التابعة له وكذلك في عملية تحصيل الضرائب وتكون مسؤولية ورواتب هذه الفرق على حساب سلطة مشيخة مجانة ويخضع الخليفة مباشرة إلى القائد العام لمقاطعة قسنطينة [2].

وإن في الوقت الذي كان الفرنسيون يجهلون تماما طبيعة البلاد وكيفية فرض، سلطتهم في الجهة الغربية من بايلك قسنطينة، قدم لهم الخليفة أحمد بن المقراني خدمات كثيرة لا يمكن تجاهلها أو نسيانها فقد لعب دورا كبيرا وفعالا في استقرار المنطقة والوقوف في وجه الأمير عبد القادر وأتباعه[3].

إن ضعف أسرة أولاد مقران وانقسامها ساعد الجيش الفرنسي على التوسع في المنطقة، وبوجود أحمد بن محمد إلى جانب القوات الفرنسية تم إخضاع عدة قبائل في ميلة وبوسعادة وغيرها

[1]- يحي بوعزيز ثورة 1871 حوار عائلتي المقراني و الحداد ، الجزائر ، الشركة الوطنية لنشر و التوزيع 1975، ص :51.

[2]- يحي بوعزيز المرجع نفسه، ص: 50.

[3]- محمد العربي الزبيري الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر الجزائر، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع 1982، ص:126.

ولقد لعب أحمد بن محمد المقراني دورا فعالا في تمكين الفرنسيين من بسط نفوذهم على مناطق كثيرة في البرج والمسيلة والحضنة وأولاد نايل،كما تمكن الخليفة بمساعدة الفرنسيين من التخلص من باقي أفراد الأسرة، ابن عمه محمد بن عبد السلام الذي قاوم الجيش الفرنسي مقاومة عنيفة وأصبح الخليفة و الحاكم المطلق لمشيخة مجانة ولعل أعظم خدمة قدمها أحمد بن محمد المقراني إلى الفرنسيين هي تمكينهم من عبور مضيق البيبان، الذي لم يكن الأتراك يعبرونه إلا بدفع ضريبة العبور إلى شيوخ مجانة من أسرة أولاد مقران أو بإذن منهم، وقد مكنهم عبور البيبان من ربط بايلك الشرق بمدينة الجزائر[1].

1- موقف سيباو من الاحتلال الفرنسي:

بعد أن وطأ الاستعمار الفرنسي أرض الجزائر قام الداي حسين بتوجيه نداء لكل سكان الخلافة من أجل الجهاد، ولبت النداء كل القبائل بلاد زواوة ومن بينهم [2] قبائل وادي سيباو والتي سارعت إلى الاستجابة برغم حالة التوتر التي سادت بينها وبين قيادة سيباو، وساعدها على تشكيل جبهة الدفاع عن الجزائر انطلاقا من مختلف نقاط منطقة سيباو قوة الترابط بينها والدور الروحي الذي لعبته القوى الدينية، فالقبيلة كانت تخضع لزعيمين أحدهما قبلي عسكري وآخر روحي .[3]

وبلغ عدد المجندين25000 رجل اجتمعوا في عدة نقاط أساسية عمراوة الفواقة، وسيباو السفلى و فليسه وأهليل والعزيب زعموم وبواقني وجمعة الصهاريج، وكل القبائل التي تجندة سارت في اتجاه مدينة الجزائر والتقت عند العزيب زعموم الذي لا يبعد كثيرا من حموض سيباو واقتحمت سهل بودواو ومتيجة، لتجد مدينة الجزائر في حالة من الذعر والفوضى وانعدام القيادة الحقيقية فعجل ذلك من عودة جحافل القبائل إلى مواقعها الأولية وكانت المقاومة في حوض سيباو بقيادة بلقاسم أوقاسي وابن زعموم (1830-1847).[4]

---

[1] -Charle Féraud opcit .p :317.

[2]- محمد الصغير فرج، المرجع السابق، ص : 57.

[3]- زين الدين قاسمي، المرجع السابق، :151.

[4]- زين الدين قاسمي، المرجع نفسه، ص- ص : 151-154.

2-الاحتلال الفرنسي لمدينة بجاية:

بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830، اتجهت أنظار الاستعمار إلى مدينة بجاية، وزاد اهتمام السلطة الفرنسية بالمنطقة بل وذهب بها الأمر إلى اعتبار مدينة بجاية بمثابة مضيق جبل طارق، وفي 03 أوت 1830 وجه الفرنسيون سفينة حربية إلى مدينة بجاية لكن السكان تصدوا لها .[1]

وفي سبتمبر 1833ابحرت حملة فرنسية لاحتلال مدينة بجاية، ووصلت في 29سبتمبر 1833 ودخلت المدينة ابتداء من القصبة ثم برج موسى ثم برج عبد القادر ويؤكد الجنرال دوكورنيلي Decornulier على ضرورة المقاومة وعنفها وعلى صمود المدافعين في وجه القوة العسكرية الأولى في العالم، حيث أن المقاومة كانت على أشدها واستعمل المدافعون الأسلحة النارية ولأسلحة البيضاء، أما مصير السكان فان كل العائلات المتبقية قد جمعت بمنزل تابع للقيادة العامة ووضعوا تحت حراسة مضمونة وكان عددهم ستين شخص من النساء وأولاد وشيوخ بينما هرب الباقي أو سقطوا والسلاح بين أيديهم[2].

وعندما تمكن الفرنسيون من احتلال مدينة بجاية في سبتمبر 1833، اتخذت مظهر الخراب والفرنسيون محصورون في الجزء الساحلي من مدينة، وكانت القبائل التي لم تخضع للفرنسين تظهر لها العداوة وتحاصرهم من كل جانب[3].

[1]- عميراوي حميدة ،دراسات في تاريخ الجزائر الحديث ، الجزائر :دار الهدى، (ط2) ص :35 ؛ عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816-1871م، تونس –الجزائر – ليبيا – الدار التونسية ، ط1 ، 1972، ص :178.

[2]- علي خلاصي، المرجع السابق، ص :122-123.

[3]- هابنريش فون ماليستان، المرجع السابق، ص :115.

إستطاع العثمانيين من تسيير بلاد زواوة من خلال إقامت أبراج بها حاميات عسكرية لحماية القبائل المتحالفة معهم ،منها برج سيباو ووضعو قبائل المخزن لجمع الضرائب ، كمالجأ العثمانيين إلى المرابطين لفك النزاعات وإخماد الثورات، وبعد الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر نجد أسرة أولاد مقراني انقسمت مواقفها فأولاد الحاج انضموا إلى الحاج احمد باي أما احمد بن محمد المقراني فقد استسلم للفرنسيين ومكن الاحتلال من إخضاع الأسرة بجميع فروعها، والاحتلال الفرنسي تمكن أيضا من إخضاع مدينة بجاية في 1833.

تعرّضت مدينة بجاية للاحتلال الإسباني سنة 1510 ، والإستلاء الإسبان النهائي عليها كان في 25 ماي 1510 م على الرغم من محاولة سكان مدينة بجاية و أبوبكر صاحب قسنطينة لطرد الإسبان إلّا أنّه لم يستطع ذلك لعدّة أسباب من بينها التنظيم المحكم للجيش الإسباني ،و الصّراع الذي كان قائما بين أبو بكر و أخيه عبد العزيز ،و تواصل هذا الصراع مع السلطان العبّاس ابن عبد العزيز الذي عقد معاهدة مع الاسبان لمواصلة صراعه ضدّ عمّه ، لذلك طلب أبو بكر صاحب قسنطينة و أعيان و علماء مدينة بجاية النّجدة من الإخوة بربروس.

الإخوة بربروس كانوا في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط في بداية القرن 16م رافعين راية الجهاد لبو نداء نجدة حاكم قسنطينة وسكان مدينة بجاية ففي سنة 1512م حاولوا تحرير مدينة بجاية لكنهم فشلوا وأصيب عروج في ذراعه ، ثم إنسحبوا إلى جيجل واتخذوها قاعدة لهم ،وحاولوا تحرير بجاية للمرة الثانية لتحرير بجايةكانت نهاية 1514 و بداية 1515 إلاّ أنّها باء وتوجه الإخوة بربروس إلى مدينة الجزائر لتلبية نداء سكانها و بقيت مدينة بجاية في أيدي الاسبان إلى غاية 1555م ؛ حيث تمكّن صالح رايس من تحريرها بمساعدة سلطان بني عباس وابن القاضي.

تمكّنت أسرة بني عباس وابن القاضي من إقامة إمارتين تزامنا مع الحملة الإسبانيّة على مدينة بجاية (بداية القرن 16م) ، حيث قام أحمد بن القاضي بتأسيس إمارة كوكو في جبل كوكو الذي يُنسب إليه اسم الإمارة، وكان لها دورا سياسيّا وعسكريا مهمّا منذ نشأتها ، فتارة تتحالف مع السلطة العثمانية و تارة أخرى تدخل تدخل في صراع معها كصراع ابن القاضي و خير الدّين بربروس فابن القاضي من دخول الجزائر و الاستيلاء عليها في عام 1520م و، بقي فيها مدّة من الزّمن ما بين أربع إلى سبع سنوات ، قام فيها بالنّهب و إثارة الفساد ، إلى أن تمكّن خير الدّين من استرجاعها بمساعدة السلطان عبد العزيز ، و ظلّت العلاقات بين الطّرفين العثمانيين و أمراء إمارة كوكو بين الصراع و التّحالف.

أمّا عن سلطنة بني عباس ظلّت مستقلة منذ نشأتها على يد الأمير العباس ابن عبد العزيز سنة 1510 عن السلطة العثمانية في إيالة الجزائر ففي سبتمبر 1529 عقد خير الدين معاهدة مع السطان عبد العزيز ، والتي بموجبها قام هذا الأخير بمساعدة العثمانيين في حملاتهم ، كحملتهم على تونس لضمّها للدولة العثمانيّة سنة 1534م ، وقدم لهم المساعدة للقضاء على تمرد الجنوب سنة 1552م بالإضافة إلى ذلك مشاركة عبد العزيز في تحرير مدينة بجاية، بعد وفاة صالح رايس 1557م قام السلطان عبد العزيز بالإغارة على بعض المناطق الخاضعة للسلطة العثمانيّة ، لذلك قام حسن باشا بحملة ضد السلطان عبد العزيز و قتله سنة 1559م.

و بعد مقتل هذا الأخير حكم قلعة بني عباس أحمد أمقران في 1559م ، و تمّ عقد معاهدة تعفيهم من الضريبة و اتّسمت علاقته مع العثمانيين بالسّلم و التّحالف إلى غاية 1592م ، تغيّرت العلاقة بسبب امتناع أحمد أمقران عن دفع الضريبة للسلطة العثمانيّة وتم قتله سنة 1600م ، ليخلفه في حكم قلعة بني عباس ابنه سي النّاصر الذي كان إنشغل كثيرا بالجانب العلمي مقارنة بالجانب السياسي تسبب هذا في مقتله سنة 1624م .

فسي الناصر 1624م ترك ثلاثة أبناء ، فأبو التّقى أخذته قبيلة الحشم ، و محمد أخذته أمّه إلى بجاية أمّا الثالث تمزرين فقد توجّه إلى الغرب و استقرّ بمعسكر ، و عندما كبر بتقى على يد قبيلة الحشم تسلم قيادة الأسرة 1635م و استقر بمجانة و أعلن عن قيام مشيخة مجانة.

حافظ أولاد مقران في ظل مشيخة مجانة عن استقلال إمارتهم عن السلطة العثمانيّة بإيالة الجزائر، و علاقة مشيخة مجانة بالسلطة العثمانيّة كانت تسودها السلم فقط عندما يدفع العثمانيون ضريبة العبور بمنطقة البيان كما أن السلطة العثمانية منحت عدة إمتيازات لشيخ مجانة خاصة مع مجيء يوسف باشا إلى حكم الإيالة الذي اعترف بعدّة امتيازات لسي بتقى شيخ مجانة و حافظ عليها إبنه سي بوزيد منبعد وفاته.

كانت مجانة تتمتع بجوانب اقتصاديّة جعل منها منطقة مهمّة ذات نفوذ كبير ، فنجد بها التّجارة و الصّناعة المحليّة ، كصناعة الحُلي و صناعة الأسلحة ، و الزراعة كزراعة الزيتون و التين اللّذان شكّلا الغذاء الأساسي للسكّان و مصدر هام في التّبادل التّجاري و التّصدير بالإضافة إلى استغلالها للأخشاب بغابات بجاية و جيجل حتّى أنّها كانت تزود السلطة العثمانيّة بالأخشاب التي تعتبر المادّة الأساسية لصناعة السفن .

و نظرا لقوّة أولاد مقران العسكريّة و السياسية و سيطرتهم على مناطق واسعةو على الممر السلطاني الرابط بين دار السلطان و بايلك قسنطينة ، أدّى هذا بالعثمانيين إلى إقامة أبراج ووضعوا عليها حاميات عسكرية و من بين هذه الأبراج نجد البرج (برج بوعريريج) حاليا ، و برج زمورة اللّذين شيّدهما حسن بن خير الدّين سنة 1559م ، و نجد برج إمناين الذي شيّد سنة 1594م لحماية سهول يسر ،و كانت هذه الأبراج تقوم بمراقبة القبائل و في نفس الوقت تحميها من هجمات أولاد مقران .

كما قاموا بوضع قبائل المخزن للاعتماد عليها في جمع الضرائب ببلاد زواوة تمثل السلطة العثمانيّة في المنطقة ، و لجئوا إلى المرابطين منذ الوهلة الأولى لهم بالجزائر نظرا لقوة تأثيرهم على السكان و مكانتهم بين القبائل ، فلقد لعبوا أدوارا سياسية مهمة كفكّ النّزاعات و إخماد الثورات و إصلاح ذات البين بين القبائل.

و بعد وفاة شيخ مجانة سي بوزيد 1734م ظهر الصراع بين الإخوة الذي تسبب في انقسامها إلى عدّة فروع : أولاد الحاج ، أولاد بورنان و أولاد عبد السلام ، فكل فرع كان يرى في نفسه الأحق و الأجدر بحكم المشيخة ، و كان الحكام العثمانيون يعملون باستمرار على تغذية ذلك الصراع من أجل السيطرة على الأسرة ، و قد ظلّ شيوخ الأسرة في صراع و قتال لم ينهه سوى نداء الجهاد الذي وجّهه الدّاي حسين إلى كل القبائل للدّفاع عن مدينة الجزائر ضد الحملة الفرنسية 1830م .

بعد الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر نجد أسرة أولاد مقران انقسمت مواقفها فأولاد الحاج انظموا إلى أحمد باي أمّا أحمد بن محمد المقراني فقد استسلم للفرنسيين و مكّن الاحتلال من اخضاع الأسرة بجميع فروعها كما تمكن الاستعمار من إخضاع مدينة بجاية 1833م .

ملحق رقم :01

خريطة توضح بلاد زواوة خلال العهد العثماني، اعتمادا على صالح فركوس، ادارة المكاتب العربية

ملحق رقم:02

خريطة تبين منطقة بني عباس نقلا عن صالح فركوس، ادارة المكاتب العربية، ص 474.

ملحق رقم: 03

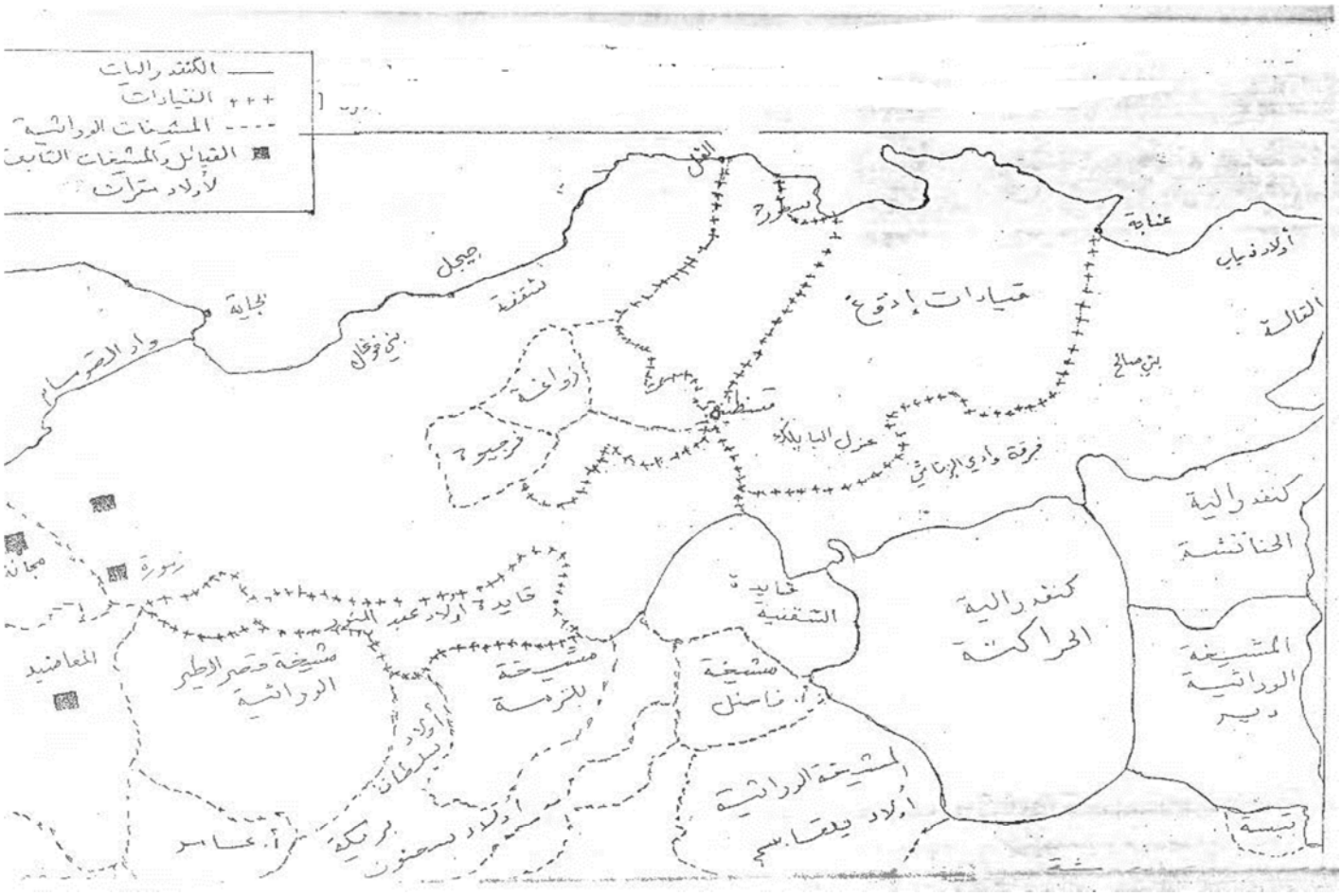

مشيخة اولاد مقران في مجانة و القبائل التابعة لها خلال العهد العثماني، نقلا عن:

Louis Rinn : «Le royoume d'Alger sous le dernier Dey, In, RA,n°,43,1898. »

ملحق رقم :04

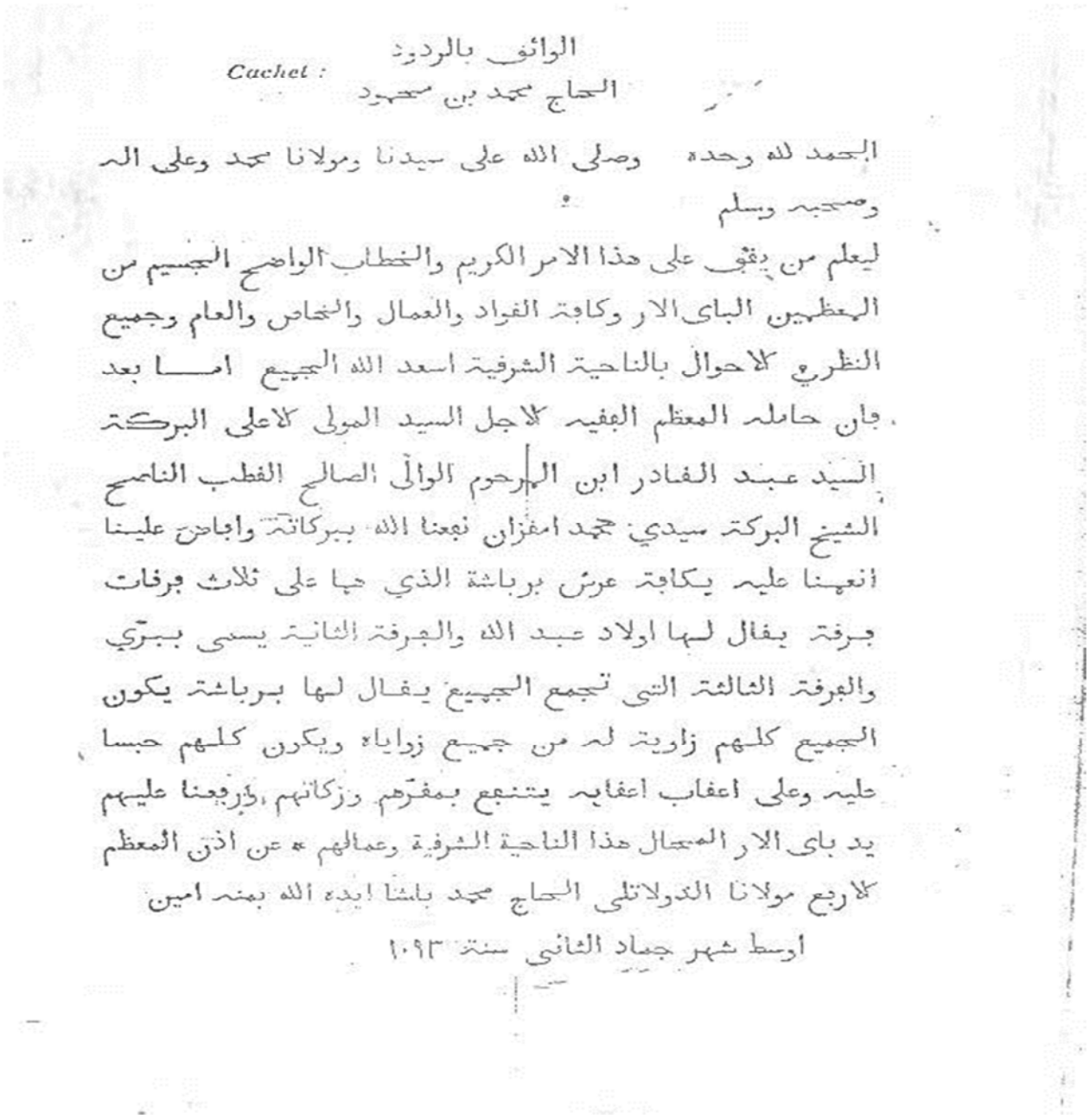

الوائق بالردود
Cachet : الحاج محمد بن محمود

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله
وصحبه وسلم
ليعلم من يقف على هذا الامر الكريم والخطاب الواضح الجسيم من
المعظمين الباى الار وكافة القواد والعمال والخاص والعام وجميع
النظر الاحوال بالناحية الشرقية اسعد الله الجميع اما بعد
فان حامله المعظم البفيه لاجل السيد المولى الاعلى البركة
السيد عبد القادر ابن المرحوم الوالى الصالح القطب الناصح
الشيخ البركة سيدي محمد امقران نفعنا الله ببركاته واجاض علينا
انعمنا عليه بكافة عرش برباشة الذي هما على ثلاث فرقات
فرقة يقال لها اولاد عبد الله والفرقة الثانية يسمى ببرّي
والفرقة الثالثة التى تجمع الجميع يقال لها برباشة يكون
الجميع كلهم زاوية له من جميع زواياه ويكون كلهم حبسا
عليه وعلى اعقاب اعقابه يتنفع بمقرّهم وزكاتهم وارفعنا عليهم
يد باى الار المحال هذا الناحية الشرقية وعمالهم ه عن اذن المعظم
الاربع مولانا الدولاتلى الحاج محمد باشا ايده الله بمنه امين
اوسط شهر جماد الثانى سنة ١٠٩٣

شهادة تحمل امتياز منحه محمد باشا الى عبد القادربن محمد امقران بتاريخ 1093 هـ/1682من نقلا عن:

Charles Féraud : « Exploitation des forets de la Karasta…. »,R.A, N° :13,1868,pp384-385.

ملحق رقم:05

ليعلم من يقف على هذا الامر الكريم والخطاب الواضح الجسيم
العلي شانه وقدره من باي لآز الناحية الشرقية وكافة القواد والعمال
والخاص والعام وجميع المتصرفين في الاحوال ببلادنا الجزاير
المحمية بالله تعالى وبلد بجاية سدد الله الجميع ووفق الكل
الى الصالح القول وحسن الصنيع اما بعد فان حاملة المكرم
الوجيه البركة السيد محمد الشريف ابن المرحوم بكرم الحي
القيوم المقدس المنعم الشيخ سيدي عبد القادر بن سيدي
محمد امقران انعمنا عليه وقدمناه على كافة زواياه رافعناه في مقام
والده المذكور وانزلناه بمنزلته ينظر في امور الزوايا المذكورين
ويكونوا كلهم عند نظره وسمعه وطاعته واطلقنا يده فيهن بحيث
يتتبع بخراجهم جريا في ذالك على سبيل عادته المعلومة وعادة
السادات المرابطين اسلافه المتقدمين قبله السابقة المعهودة
كما انعمنا عليه بزاوية بني بو مسعود وحبسناها عليه وعلى عاقبه
وعاقب اعقابه ذلك صدقا منا عليه لوجه الله العظيم ورجاء
ثوابه الجسيم ولاطعامه للفقراء والمساكين وعلى كافة اهل الزوايا
المذكورين خصوصا زاوية بني بو مسعود ان يكون كلهم عند نظره
وسمعه وطاعته كما انا اقمناه في مقام والده المذكور على شغل
البايلك الكاين بالبلد المذكورة يجري عليه مثل الكراسة
وغيرها من غير ممانع له في ذلك مع حرمه واحترامه ورعيه وحفظ
جنابه بحيث لاتهتك له حرمة ولا من يتعدى عليه ولا على كافة
زواية ولا يكلفهم احد بشي من التكاليف المخزنية * عن اذن المعظم
الارفع الدولاتلي السيد مصطفى داي اواخر حجة الحرام عام ١١١٣

Cachet au dos.

شهادة تحمل امتياز منحه مصطفى داي الى محمد الشريف بن عبد القادر بن محمد امقران بتاريخ 1113هـ/1702م نقلا عن:

Charles Féraud : « Exploitation des forets de la Karasta…. »,R.A, N° :13,1868,pp387-388.

ملحق رقم: 06

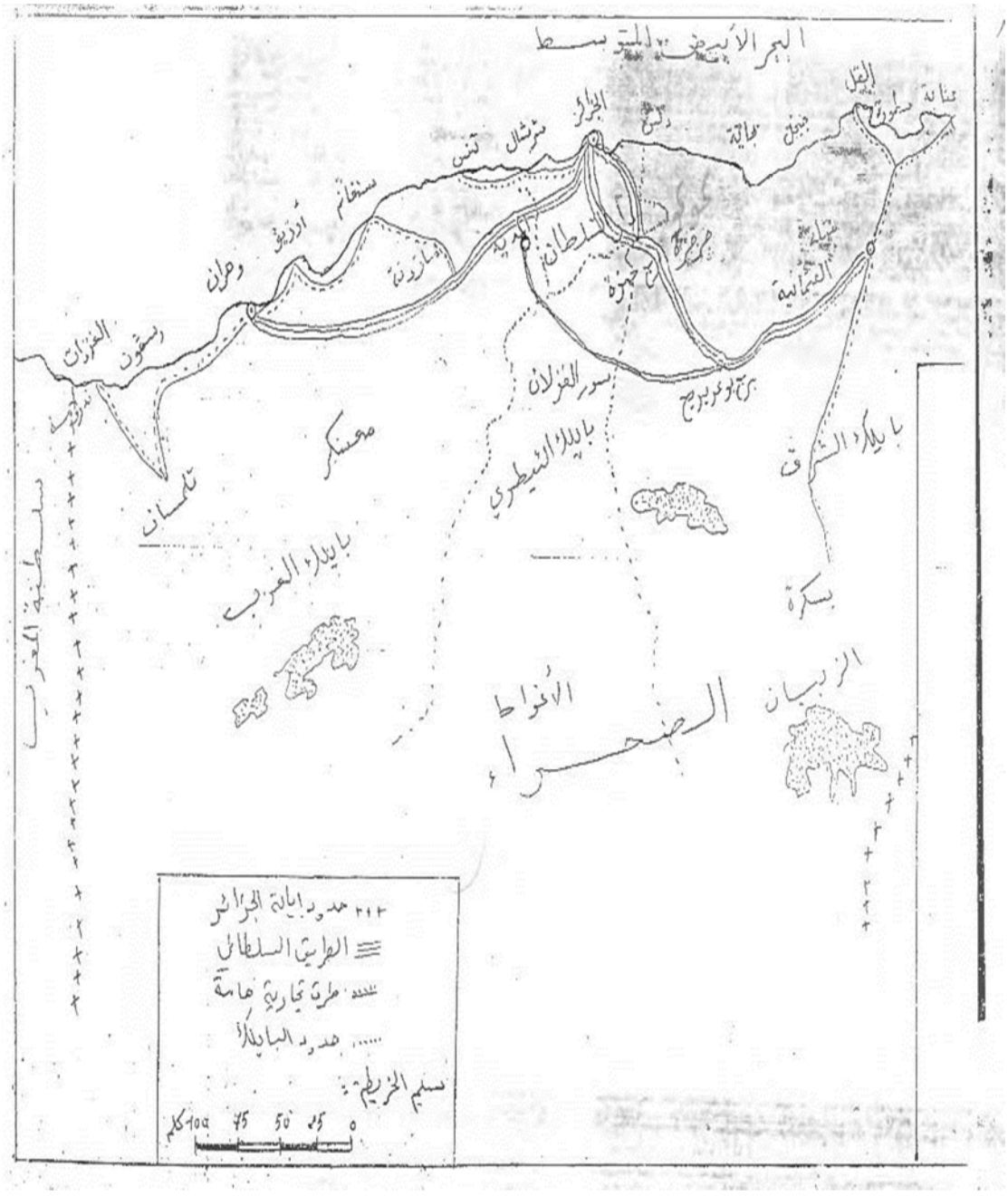

خريطة المواصلات و التقسيم الاداري في ايالة الجزائر خلال العهد العثماني، نقلا عن :

ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي في الجزائر

قائمة المصادر و

المراجع

كلمة شكر وعرفان

الإهداء

قائمة المختصرات

مقدمة .....أ-هـ

تمهيد.....11-16

الفصل الأول: الوضع السياسي لبلاد زواوة منذ مطلع القرن 16ما إلى منتصف القرن 17م

1-الإحتلال الإسباني لمدينة بجاية.....18-26

2-تحرير مدينة بجاية.....25-37

-المحاولة الأولى لتحرير مدينة بجاية.....25-27

-المحاولة الثانية لتحرير مدينة بجاية.....27-31

-نالتحرير النهائي لمدينة بجاية.....32-33

3-إمارة كوكو وقلعة بني عباس.....33-46

-نشأت إمارة كوكو.....33-37

-قيام قلعة بني عباس 37-46

الفصل الثاني :مشيخة مجانة منذ قيامها إلى غاية الإحتلال الفرنسي.

1-تأسيس مشيخة مجانة.....48-52

2-العوامل الإقتصادية كعامل أساسي في قوة مشيخة مجانة 53-60

-التجارة 53-55

-الصناعة.....55-57

-الزراعة.....57-59

3-الخلاف بين أولاد مقران وضعف إمارتهم.....60-69

-إنقسام أسرة أولاد مقران إلى عدة فروع.....63-69

الفصل الثالث:إستراتيجية السلطة المركزية في تسيير بلاد زواوة ولاحتلال الفرنسي للمنطقة

1-إستراتيجية السلطة المركزية في تسيير بلاد زواوة.....71-83

-قائد سيباو.....71-72

-شيخ القبيلة.....72-73

-التنظيم الإداري لقيادة سيباو.....73-74

-وسائل تحكم القيادة في المنطقة.....74-75

-بناء الأبراج.....75-76

- قبائل المخزن.....79-81

-الدور السياسي للمرابطين.....81-84

2-الاحتلال الفرنسي لبلاد زواوة 84-92

-موقف سيباو من الاحتلال الفرنسي.....92-92

-الاحتلال الفرنسي لمدينة بجاية.....91-92

-الخاتمة.....94-97

-الملاحق.....99-104

-قائمة المصادر و المراجع 106-113

-فهرس الموضوعات.....115-117